

موقف المذاهب الفقهية الأربعة من الأشعرية

دراسة نقدية لكتاب " منهج الأشاعرة في العقيدة "

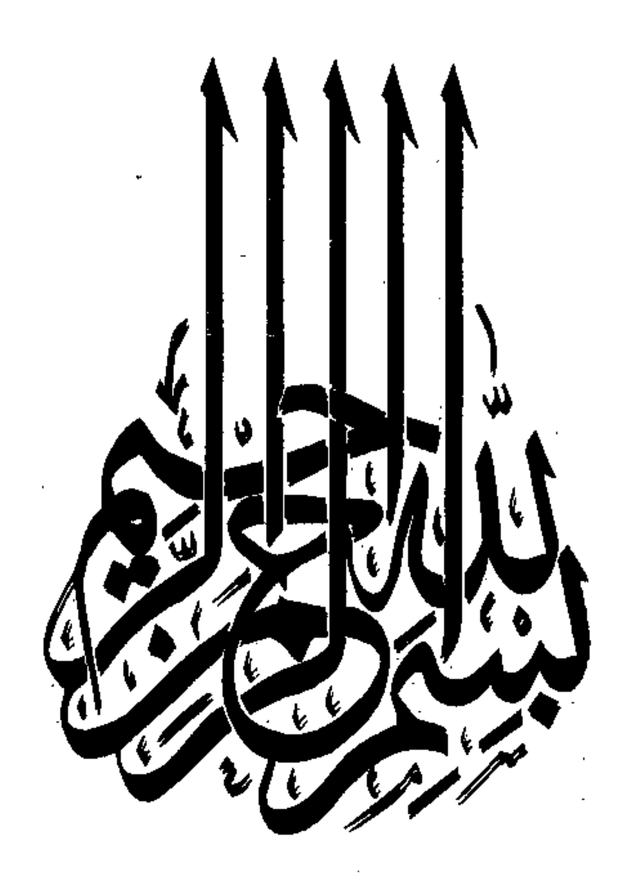
إعداد الدكتور

د / رجب محمود خضر الإسنوي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين - بالقاهرة




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله ، ومن ولاه، وبعد:

فقد اطلعت – منذ عدة سنين – على كتيب لباحث سعودي[١] ، سمّاه: " منهج الأشاعرة في العقيدة " [٢]

فوجدته مليئاً بالدعاوى عن المذهب الأشعري ، من مثل :

- إنه " مذهب بدعي " " على منهج فكري مستقل في كل الأبواب والأصول ، ويختلفون مع أهل السنة والجماعة من أول مصدر التلقي حتى آخر السمعيات ، ما عدا قضية واحدة فقط "[٣]

- وان " التناقضات .. هي سمة من سمات المنهج الأشعري " [٤]

- وإنه يعد " أكبر فرق المرجئة الغلاة " [٥]

---

[١] هو : الدكتور سفر الحوالي .

[٢] نشر مكتبة العلم – القاهرة ، بدون تاريخ .

[٣] ص ٤ ، ١٦ : من الكتاب المذكور في المتن .

[٤] نفس المصدر ص : ٤ .

[٥] نفسه ص : ٣ . و قد ناقشت هذه الدعوي بشئ من التفصيل في رسالتي للماجستير (القضايا الخلافية بين فرق المرجئة : عرض وتحليل) وبينت فيها أن الأشعرية يختلفون مع المرجئة في أكثر أصولهم ، إذ يقولون بنفع الطاعات وضرر المعاصي ، وزيادة الإيمان ونقصه ، وجواز =

- وإن عقائدهم " هي ما كان عليه فلاسفة اليونان ومشركوالصابئة وزنادقة أهل الكتاب .." [1]

- وإن أئمة المذاهب الأربعة من الفقهاء ذموهم وبدعوهم[2]

- وكذلك فعل أئمة السلوك (الصوفية) ، ورجال الجرح والتعديل ..[3]

- وإن ابن تيمية نسب هذا المذهب إلى الجهمية ، واتهمهم باتباع طريقة الملاحدة ، وانكر عليهم اتباع طريقة السلف [4].... إلى غير ذلك .

وبالجملة : فقد خلص الباحث إلى أن " الحكم الصحيح في الأشاعرة أنهم من أهل القبلة .. أما أنهم من أهل السنة فلا " [1] ، وأنهم " فرقة

الاستثناء في الإيمان ، خلافا للمرجئة ، وقد هاجم الأشعرية الفكر الإرجائي في كتبهم بشدة ، فكيف يكونون منهم ، فضلا عن أن يكونوا من أكبرهم ؟!! [انظر تفصيل ذلك في الرسالة المذكورة : ص ١٧٠ – ١٧٣، بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة ، والمكتبة المركزية بجامعة الأزهر]

(١) نفسه ص : ٣٨ .

(٢) انظر نفس المصدر ص ١١ .

(٣) انظر نفس المصدر ص ١١ .

(٤) نفسه ص : ٦ بتصرف .

من الثنتين وسبعين فرقة ، وأن حكم هذه الفرق .. هو : (١) الضلالة والبدعة . (٢) الوعيد بالنار، وعدم

النجاة " [٢]

وقد رفض الباحث – بشدة – الالتقاء مع الأشاعرة ،على الرغم من سعيهم الحثيث نحو ذلك توحيداً للصف وجمعاً للكلمة ؛ لأن كلمة التوحيد مقدمة على توحيد الكلمة ، هكذا قال ؟!! [٣]

هذا : وقد ذكر الباحث – في مقدمة بحثه – أنه يجب على كل قادر أن يبين للأمة الحق ، وينصح لها ، مهما لقي ..

وتساءل : إذا كان من حق أي قارئ مسلم أن يهتم بهذا الموضوع الهام ، وأن يدلي برأيه ، إن كان لديه جديد ، فكيف بمن هو متخصص فيه ؟ (يقصد نفسه) .

ومن ثم تحدث في الموضوع ، منطلقا من واقع إسلامه وتخصصه.[١]

وأنا ، من جهتي ، أقول : قد اجتمع فيّ – بحمد الله – هذان الأمران (الإسلام والتخصص) فمن واجبي أيضا أن أقول كلمة ، في هذا الموضوع الهام ، بيانا للحق الذي عرفته ، ونصحا للأمة ، داعيا الله تعالى أن ينفع بها ..

---

[١] نفسه ص : ١٢ .

[٢] نفسه ص : ٣٩ .

[٣] انظر ص : ١٦ ، ٤٥ .

[١] انظر المصدر السابق : ص ٣ .

هذا : ولمّا كانت الدعاوى التي أطلقها الباحث كثيرة ، تحتاج إلى مناقشات طويلة ، لا يتسع لها بحث واحد ، مهما كانت قدرة صاحبه على الإيجاز :

فإني قد إقتصرت – هنا – على مناقشة بعضها (وهي الخاصة بحكم الأشعرية عند أئمة المذاهب الأربعة) .

على أن أتابع مناقشة الدعاوى الأخرى في أجزاء لاحقة ، إن شاء الله تعالى .

وقد إلتزمت – في عرض الموضوع ومناقشة الدعاوى – المنهج العلمي الموضوعي ، دون تعصب لهذا الفريق أو ذاك :

ومن ثم قمت بعرض آراء الباحث في دراسته (منهج الأشاعرة في العقيدة) بكل أمانة ، ثم قمت بمناقشتها ، على ضوء التاريخ والواقع ، حتى يتبين للقارئ الكريم مدى صدقية تلك الدعاوي من كذبها ..

وقد راعيت – في كل ذلك – الإيجاز غير المخل ، إلا إن دعت الحاجة إلى التطويل غير الممل ..

هذا : وقد اشتمل هذا البحث على : مقدمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة .

- أما المقدمة : فقد تحدثت فيها : عن أسباب إختيار هذا الموضوع ، وأهميته ، ومنهجي فيه ، ومحتوياته ..

- وأما المبحث الأول : ففي بيان موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام .

- واما المبحث الثاني : ففي بيان موقف الحنفية من الأشعرية

- وأما المبحث الثالث : ففي بيان موقف المالكية من الأشعرية .

- وأما المبحث الرابع : ففي بيان موقف الشافعية من الأشعرية .

- وأما المبحث الخامس : ففي بيان موقف الحنابلة من الأشعرية .

- وأما الخاتمة : فأذكر فيها أهم نتائج البحث ، والتوصيات التي أراها .

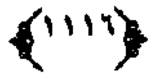
فالله أسأل أن يوفقني لاتمامه ، بفضله وإنعامه ، إنه بالإجابة جدير ، وعلى ما يشاء قدير ..

كتبه :

د / رجب محمود خضر

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين بالقاهرة



المبحث الأول: بيان موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام .

ذكر الباحث أن الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة قد نهوا عن علم الكلام ، وبدعوا أصحابه ، أينما كانوا ومتى وجدوا .

وعليه : فالأشعرية من أهل البدعة ، وليسوا من أهل السنة ؛ لأنهم أصحاب كلام ..

لنقرأ : " وروي ابن عبدالبر في (الانتقاء) عن الأئمة الثلاثة (مالك وأبي حنيفة والشافعي) نهيهم عن الكلام ، وزجر أصحابه وتبديعهم وتعزيرهم .. فماذا يكون الأشاعرة إن لم يكونوا أصحاب كلام ؟ " .[1]

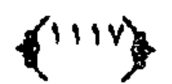
ونقرأ أيضاً " وقد نص الإمام أحمد وابن المديني ، على أن من خاض في شئ من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة ، وإن أصاب بكلامه السنة ، حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص ، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب ، بل التلقي والاستمداد منها ..

والأشاعرة .. تلقوا واستمدوا من غير السنة ، ولم يوافقوها في النتائج ، فكيف يكونون من

أهلها ؟ "[2]

[1] منهج الأشاعرة ص ٩ – ١٠ .

[2] نفس المصدر ص ٩ .



<u>نقد هذه الدعاوى :</u>

إن هذا الكلام يتضمن ثلاث دعاوى ، هي :

١- أن من خاض في شئ من الكلام لا يعتبر من أهل السنة ، وإن وافقها !

وكأن الباحث يقول لنا منطقياً : الأشاعرة خاضوا في علم الكلام ، وكل من خاض فيه ليس من أهل السنة ، إذن هم ليسوا من أهلها .

٢- وأن الأشاعرة قد تلقوا واستمدوا من غير السنة ..

٣- وأنهم خالفوها في النتائج ..

فلنطرح الأولى منها على بساط البحث العلمي ؛ لنضعها بعد ذلك في كفتها اللائقة بها (الصواب أم الخطأ) فنقول وبالله التوفيق :

إن المقدمة القائلة (الأشاعرة خاضوا في الكلام) لا يستطيع أن يجادل في صحتها أحد .

وأما المقدمة الأخرى الكلية ، فهي التي فيها كلام ؛ إذ لا يمكن تسليمها على إطلاقها هكذا ، بل لابد من تقييدها ، فيقال (بعض من خاض في الكلام ليس من أهل السنة) وإذن يكون هذا القياس غير منتج، وبيان ذلك أن يقال :

إن الباحث قد استند في نتيجته تلك على نهي الأئمة الأربعة – وغيرهم – عن الكلام ، وهذا ثابت عنهم ، لكنه تغاضى عن تحديد الكلام المذموم عندهم ، وعن السياقات التي ورد فيها الذم ، وعن الروايات المقيدة لإطلاقات النهي :

فلم يقل لقرانه ما المراد بالكلام المنهي عنه ؟

هل هو جنس الكلام ؟ بالطبع لا يقول بهذا عاقل !!

أم إنهم ذموا الكلام الحق الموافق للقرآن والسنة ؟ وهذا أيضاً بعيد عن ذي عقل سليم !!

أم إنهم أرادوا بالكلام : النظر والاستدلال والجدل لإثبات عقيدة القرآن والسنة بالعقل ؟

وهذا أيضاً غير صحيح ؛ لأن القرآن نفسه فعل ذلك [1] ، وأمر به ، ولم يزل الرسل – عليهم الصلاة والسلام – يحاجون المنكرين ويجادلونهم ، والآيات في ذلك أظهر من أن تذكر .

والصحابة – رضي الله عنهم – كانوا أيضاً يحاجون المنكرين ، ويجادلونهم ، ولكن عند الحاجة ، وكانت الحاجة إليه – في زمانهم – قليلة .[2]

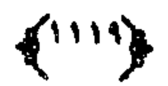
لم يبق إذن إلا أن يقال : إنهم ذموا الكلام المبتدع الباطل المخالف لصريح القرآن والسنة .

وهذا ما صرح به كبار علماء الإسلام بعد أولئك الأئمة :

---

[1] إذ أن القرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار ، كما يقول حجة الإسلام الغزالي .[انظر : قواعد العقائد (من الإحياء) ص ٤٩- ٥١]

[2] قواعد العقائد ص ٥١ بتصرف ، وانظر أيضاً : إشارات المرام من عبارات الإمام ، للبياضي ص ٣٢- ٣٥ .



<u>فها هو ذا إمام الرواية والدراية أبوبكر البيهقي :</u>

يبين المقصود بالكلام ، في نهي مالك والشافعي ، ويذكر سياقه ، فيقول: " وإنما يريدا – والله أعلم – بالكلام :كلام أهل البدع ؛ فإن في عصرهما إنما كان يعرف بالكلام أهل البدع ، فأما أهل السنة فقلما كانوا يخوضون في الكلام حتى إضطروا اليه بعد " [٣]

وقد بين البيهقي – وغيره – أن الروايات المحكية عن الشافعي في ذم الكلام قد وردت أحياناً مطلقة ، وأحيانا أخرى مقيدة ، ومن ذلك :

مارواه – بالإسناد – عن يونس بن عبد الأعلى أنه قال : " جئت الشافعي بعد ما كلم حفص الفرد ، فقال : غبت عنا يا أبا موسى ، لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط ، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام " [٤]

واضح من هذه الرواية أن : " الشافعي – رحمه الله – إنما عنى بمقاله كلام حفص الفرد القدري وأمثاله ، ويدل عليه " [٥] رواية يونس – المسندة أيضاً – أنه قال :

---

[٣] مناقب الشافعي ٤٥٨/١ و قارن : تبيين كذب المفتري ص ٢٥١ حيث نقل ابن عساكر هذا النص ،وأشار إلى أهميته بقوله :" وناهيك بقائله أبي بكر البيهقي ".

[٤] مناقب الشافعي للبيهقي ص وقارن تبيين ص ٢٥٢ .

[٥] من تعليق ابن عساكر على الرواية : تبيين ص ٢٥٢

" قال لي الشافعي : يعلم الله يا أبا موسى لقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء لم أظنه يكون ، ولأن يبتلى المرء بكل ذنب نهى الله عزوجل عنه ما عدا الشرك به خير له من الكلام . قال يونس : يعني في الأهواء"[1]

يقول الإمام البيهقي – معلقاً على هذه الروايات – " إنما أراد الشافعي – رحمه الله – بهذا كلام حفص وأمثاله من أهل البدع ، وهكذا مراده بكل ما حكي عنه في ذم الكلام وذم أهله ، غير أن بعض الرواة أطلقه وبعضهم قيده ، وفي تقييد من قيده دليل على مراده " [2]

<u>وها هو ذا : إمام المحدثين في وقته ابن عساكر (ت ٥٧١هـ):</u>

يقول بصريح العبارة : إن " الكلام المذموم : كلام أصحاب الأهوية وما يزخرفه أرباب البدع المردية ، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه .. " [3]

هكذا قال الحافظ ابن عساكر – الذي انتهت إليه الرئاسة في الحفظ والاتقان – إن الكلام الموافق للكتاب والسنة محمود عند العلماء ، وهي كلمة عظيمة تدل بمفهومها على أنه مذموم عند

غيرهم !! فلله دره .

---

(١) نفس المصدر ص ٢٥٢ .

(٢) مناقب الشافعي ١/ ٤٥٤– ٤٥٥ ، وقارن : تبيين ص ٢٥٥ .

(٣) تبيين كذب المفتري ص ٢٥٣– ٢٥٤ .

والأبلغ من ذلك : أن الإمامين البيهقي وابن عساكر وغيرهما:

نقلوا من الروايات المسندة ، ما يصرح بخوض الشافعي وغيره من أئمة السنة في علم الكلام :

ومن ذلك : رواية محمد بن روح أنه قال :

" كنا على باب الشافعي نتناظر في الكلام ، فخرج إلينا الشافعي ، فسمع بعض ما كنا فيه فرجع عنا ، فما خرج إلينا إلا بعد سبعة أيام ، ثم خرج فقال : ما منعني من الخروج إليكم علة عرضت ، ولكن لما سمعتكم تتناظرون فيه ، أتظنون أني لا أحسنه لقد دخلت فيه حتى بلغت منه مبلغا، .. ولكن الكلام لا غاية له ، تناظروا في شيء إن أخطأتم فيه يقال لكم أخطأتم ، لا تناظروا في شيء إن أخطأتم فيه يقال لكم كفرتم "[1]

ومعنى هذا : أن الشافعي كان على دراية تامة بعلم الكلام ، وأن أصحابه كانوا يخوضون فيه ، ويتناظرون ، إلا أن الشافعي كره الخوض فيه لهم عند عدم الحاجة ، والسبب في ذلك : ما يخشاه من تعصب أهل الكلام لمذاهبهم ، حتى يكفر كل منهم الآخر ..

وقد تكلم الشافعي مع غير واحد ممن ابتدع وأقام الحجة عليه حتى انقطع [2]:

ومن ذلك : ما رواه البيهقي وغيره- بالإسناد – عن المزني أنه قال:

---

[1] مناقب الشافعي ١ / ٤٥٩ ، وتبيين ص ٢٥٦- ٢٥٧ .

[2] قاله ابن عساكر : تبيين ص ٢٥٤ بتصرف

" دار بيني وبين رجل مناظرة ، فسألني عن كلام كاد أن يشككني في ديني ، فجئت إلى الشافعي ، فقلت له : كان من الأمر كيت وكيت .. فقال لي : هذه مسألة الملحدين ، والجواب فيها : كيت وكيت ، ولأن يبتلى العبد بكل ما خلق الله من مضاره خير له من أن يبتلى بالكلام "[1]

هذه الرواية تكشف لنا بوضوح عن شدة الحاجة إلى علم الكلام السني ؛ لدفع تشكيكات الملحدين ، ورد شبهات المبتدعين ..

ولهذا قال الإمام البيهقي – معلقاً عليها – :

" وفي ذلك دلالة على حسن معرفته بذلك ، وأنه يجب الكشف عن تمويهات أهل الإلحاد

عند الحاجة إليه ، و(أنه) أراد بالكلام ما وقع فيه أهل الإلحاد من الإلحاد وأهل البدع من البدع "[2]

وقد رووا : أن حفصاً الفرد سأل الشافعي عن قوله في القرآن ، " فاحتج عليه الشافعي فطالت فيه المناظرة فقام الشافعي بالحجة عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق .. "[3]

كما ناظر الشافعي حفصاً " في زيادة الإيمان ونقصانه ، وذكر للحميدي أحسن ما يحتج به على أهل الأرجاء ، وذكر لابن هرم ما يحتج به على من أنكر الرؤية "[1]

---

(1) مناقب الشافعي ١/ ٤٥٨ .

(2) نفس المصدر والصفحة ، وقارن : تبيين ص ٢٥٦ .

(3) تبيين ص ٢٥٤

وكان الشافعي يقول : " ماناظرت أحدا أحببت أن يخطيء ، إلا صاحب بدعة فإني أحب أن ينكشف أمره للناس " (٢)

ويقول أيضاً : " ما كلمت رجلاً في بدعة قط إلا كان يتشيع " (٣)

فهذان القولان يدلان – بوضوح – على كثرة مناظرته أهل البدع ، حتى تمكن رحمه الله – بفضل ذلك – من معرفة عاداتهم في ميلهم إلى التشيع..

وهذا ما يجعلنا نتساءل مع الحافظ ابن عساكر :

" وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذموما عنده ، وقد تكلم فيه ، وناظر من ناظره ، وكشف عن تمويه من ألقى إلى سمع بعض أصحابه من أهل الهواء شيئا مما هم فيه ؟ !! " (٤)

هذا : ولم يكن الشافعي أول متكلم من أهل السنة :

بل " قد اشتهر غير واحد من علماء الإسلام ومن أهل السنة قديما بعلم الكلام " [1] كما يقول الحافظ ابن عساكر ، ومن هؤلاء :

---

(١) نفسه ص ٢٥٥ .

(٢) نفسه ص ٢٥٤ .

(٣) مناقب الشافعي ١/ ٤٦٧

(٤) تبيين ص ٢٥٥

[1] تبيين كذب المفتري ص ٢٦٢ .

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (٨٠- ١٥٠ هـ) :

الذي وصف بأنه " كان متكلم هذه الملة في زمانه "[٢] .

وأنه ناظر الخوارج والشيعة والقدرية والدهرية وغيرهم ، وقمعهم بالأدلة الباهرة ، وبلغ في الكلام إلى أن كان يشار إليه بين الأنام .

وقد اقتفى به تلامذته الأعلام :

كأبي يوسف (ت ١٨٢هـ) ، ومحمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ) ، وزفر بن الهذيل (ت ١٥٨هـ) ، وحماد ابنه ، وقد خصموا بالكلام الناس – أي ألزموا به المخالفين – وهم أئمة

العلم .[٣]

وما روي عن الإمام أبي حنيفة من كراهة الخوض في الكلام :

فمحمول على كراهة ما وراء قدر الحاجة ، لا إثبات المذهب ودفع الخصم ؛ فإنه محتاج إليه ، وقد صرح تلامذته :

بأن بيان مذهب أهل السنة من أهم الأمور ، واستعاذوا بالله من المنع من تعلم أصول التوحيد، ومن منع من ذلك فقد رضي بضلال الناس. أفاده العلامة البياضي[٤]

---

[٢] إشارات المرام ص ١٩ ، وانظر : أصول الدين للبغدادي ص ٣٠٨.

[٣] نفس المصدر ص ١٩ بتصرف .

[٤] انظر : نفس المصدر ص ٣٥- ٣٦ .

وقد روي أنه نهى ابنه حماداً عن المناظرة في الكلام ، فقال له : رأيتك يا أبتي تتكلم ، فلم تنهني ؟ فقال الإمام : كنا يا بني نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه ، مخافة أن يزل صاحبه ، وأنتم اليوم تتكلمون ، وكل واحد منكم يريد أن يذل صاحبه ويكفر، ومن أراده فقد كفر قبل صاحبه .[5]

وهو نفس السبب الذي نهى لأجله الشافعي تلامذته عن المناظرة ، كما مر بيانه .

ومن هؤلاء أيضاً : التابعي الجليل عبدالله بن يزيد بن هرمز المزني (ت ١٤٨هـ) :

فقد قال عنه تلميذه الإمام مالك – صاحب المذهب المالكي – :

" كان ابن هرمز رجلاً كنت أحب أن أقتدي به ..

قال : وكان بصيراً بالكلام ، وكان يرد على أهل الأهواء .

قال : وكان من أعلم الناس بما اختلف الناس فيه من هذه الأهواء"[6]

لا حظ أن مالكاً –رحمه الله – لم يقل : إن هذا الرجل مبتدع ؛ لأنه خاض في الكلام ، وناظر فيه ، بل كان يحب أن يقتدي به ، ولذلك لازمه ثلاث عشرة سنة (١)

---

[5] انظر : نفس المصدر ص ٣٦.

[6] تبيين كذب المفتري ص ٢٦٢ .وقارن : سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٣٧٩ .

<u>وقد صحت الروايات : أن بعض أصحاب الشافعي كان يتقن الكلام :</u>

كالإمام أبي يعقوب البويطي (ت ٢٣١هـ) الملقب بسيد الفقهاء، والذي وصفه الحافظان الكبيران البيهقي وابن عساكر : بأنه " كان شديدا على أهل البدع ، ذابا بالكلام على أهل
السنة " (٢)

<u>والإمام عبدالعزيز بن عمران المكي (ت بعد ٢٤٠هـ):</u>

الذي وصف بأنه " المقدم في معرفة الكلام " [٢] و " الذي فضح المعتزلة في مجلس المأمون " [٣] ..

<u>والإمام أبي القاسم عثمان بن سعيد بن بشار الأنماطي (ت ٢٨٨هـ)</u>

شيخ الشافعية في عصره : الذي كان يجادل القائلين بخلق القرآن ، ويثبت أنه غير مخلوق ، محتجاً على ذلك بالنقل والعقل ، وهو المنهج الذي اتبعه أهل السنة بعد ذلك :

لنسمع منه – وهو يجادل أحد أولئك – : " فقال ما حجتك ؟ فقلت له : أقول : القرآن غير مخلوق ، وأدل عليه :

---

(١) تبيين ص ٢٦٢ .

(٢) مناقب الشافعي ١ /٤٦٤ ، وتبيين ص ٢٦٠

٢ تبيين ص ٢٦٣ .

٣ أصول الدين للبغدادي ص ٣٠٩ .



(١) بكتاب الله.

(٢) وسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم .

(٣) وإجماع أمته.

(٤) ومن حجج العقول التي ركبها الله في عباده .

قال فأوردت عليه ذلك فبقي متحيراً "[٤]

أبعد هذا كله يقول صاحب دراسة (منهج الأشاعرة) : إن من خاض في شئ من الكلام لا يعتبر من أهل السنة ؟!!

أهؤلاء الأئمة – أبوحنيفة وتلامذته ، وابن هرمز شيخ مالك ، والشافعي وتلامذته ، وغيرهم – ليسوا من أهل السنة ؟!! سبحانك هذا بهتان ..

وعليه : فالقول الصحيح هو : أن بعض من خاض في الكلام مذموم، وليس الكل ، وهم الذين خاضوا فيه بالباطل .

<u>موقف ابن تيمية من علم الكلام :</u>

وليعجب معي القارئ الكريم ، حين يعلم أن الشيخ الذي يكثر الباحث من النقل عنه ، ويسلم بكل كلامه ، ويعتبره حجة في معرفة عقائد السلف – أعني الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) يصرح بأن الكلام المذموم هو الباطل المخالف للنقل والعقل ، إذ يقول :

---

[٤] تبيين ص ٢٦١ .

" والسلف لم يذموا جنس الكلام ، فإن كل آدمى يتكلم ، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذى أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله، بل ولا ذموا كلاما هو حق ، بل ذموا الكلام الباطل وهو : المخالف للكتاب والسنة ، وهو المخالف للعقل أيضا وهو الباطل ، فالكلام الذى ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل " [1]

ولهذا لا ينكر ابن تيمة وجود متكلمين في أهل السنة ، إنه يقول – مثلاً– : " .. كما هو

قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من الحديث والكلام " [2]

ويثني على كثير من متكلمي السنة ، ويترضى على الأشعري ، بقوله : " .. وهو الذي ذكره أبوالحسن الأشعري رضي الله عنه عن أهل السنة واختاره " [3] رغم وصفه له بالمتكلم !!

فأين الباحث من كل هذا ؟ !!

توجيه موقف الإمامين أحمد وابن المديني :

أما ما ذكره الباحث : من أن أحمد وابن المديني قد نصا على أن من خاض في شئ من الكلام فليس من أهل السنة ، فمحمول – على فرض صحته – على ما قلناه ، من كلام أهل الأهواء والبدع ،

---

[1] الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ١٠٥ ،الناشر دار الطباعة المحمدية – الأزهر ، ١٣٩٨-١٩٧٨ .

[2] مجموع الفتاوى ٤ / ٢٥٧ .

[3] نفس المصدر والصفحة .

الذين حكموا أهواءهم في فهم القرآن والسنة ، واعتمدوا على مجرد عقولهم ، بعيداً عن الوحي : فأدى بهم ذلك إلى إنكار القدر ، والرؤية ، والقول بخلق القرآن ، ورد الأحاديث ، وغير ذلك .

وهؤلاء – ولا شك – ليسوا من أهل السنة ، وقد نقدهم متكلموا السنة من الأشعرية وغيرهم ، كما سنرى، وسياق كلام الإمامين واضح في ذلك :

وها هو ذا جانب من كلام أحمد : " أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء بهم ، وترك البدع .. وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء .. والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء .. ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه .. مثل أحاديث الرؤية ..فإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها جزءا واحدا .. لا يخاصم أحدا ولا يناظره ولا يتعلم الجدل ، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن : مكروه منهي عنه ، ولا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة ، حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالآثار ، والقرآن كلام الله وليس بمخلوق.."[1]

---

(1) شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، ١/ ١٥٧ – ١٦٠ ، ت أحمد سعد حمدان ، الناشر دار طيبة – الرياض ، بدون تاريخ

قال : فما تقولون في القرآن ؟ قلنا : كلام الله عزوجل . قال : مخلوق أم غير مخلوق ؟ قلنا : غير مخلوق .قال : فمن قال إنه مخلوق؟ قلنا : كافر .

قال : يا سبحان الله ، عيسى كلمة الله ومنفى الخلق عنه كافر ، والقرآن كلمة الله ومن يثبت الخلق عليه كافر !!

قال الحسين : فأعلمته ما يجب من القول ، وقلت له: قد كان المكي يختلف إليكم ، ويقول لكم : إني أعلم من هذا الباب ما لاتعلمون ، فتعلموا ذلك مني ، فتحملكم الرياسة على ترك ذلك . ويقول لكم : يكون لكم ما تعلمتوه مني عدة تعتدونها لأعدائكم ، فإن هجموا يوما لم تحتاجوا إلى طلب العدة ، فإن احتجوا بعد ذلك عليكم ولم يحضركم الأعداء لم يضركم الاعداد للعدة ، فتأبون ذلك !! والحجة في هذا الباب كيت وكيت .

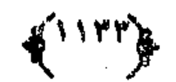
فقال زهير : والله لوددت أني كنت أعلم هذا كما نعلمه يوم دخلت على المأمون ، وأن ثلث روايتي ساقطة عني ، ثم نظر إلى يحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٣ هـ) وهو معه فقال له : وأنا أقول كما تقول .

فقال لي زهير: فعلم ابني ، فإنه حدث ، فخلوت به في المسجد فعلمته.[١]

تأمل ، أيها القارئ الكريم ، إن زهير بن حرب ، أحد أعلام الحديث، ويحيى بن معين الامام الحافظ الجهبذ ، شيخ المحدثين :

---

(١) تبين كذب المفتري ص ٢٦٢ – ٢٦٣ بتصرف .



يتمنيان أن لو كانا يتقنان الكلام وقت الامتحان ، ولو سقطت ثلث روايتهما في مقابل ذلك !!

وتخيل ، معي ، لو أن الإمام أحمد ومن معه كانوا يحسنون ذلك وقت المحنة ، هل كانوا سيتعرضون لما تعرضوا له ؟

إن الإمام الباقلاني لاحظ هذه النقطة ؛ ولذلك نراه يعيب على متكلمي السنة في عصر أحمد ، عدم تصديهم للمأمون ورجال المعتزلة..

حيث قال – لمّا رفض الشيخ ابن مجاهد ، وبعض أصحابه حضور مجلس الملك (عضد الدولة البويهي) لمناظرة أهل البدع ، قائلاً : (هؤلاء قوم كفرة فسقة .. لا يحل لنا أن نطأ بساطهم، وليس غرض الملك من هذا إلا أن يقال إن مجلسه مشتمل على أصحاب المحابر كلهم، ولو كان خالصاً لله، لنهضت) – :

" هكذا قال ابن كلاب والمحاسبي، ومن في عصرهم، إن المأمون فاسق، لا نحضر مجلسه، حتى سيق أحمد بن حنبل الى طرسوس، وجرى عليه بعده ما عرف. ولو ناظروه لكفوه عن هذا الأمر، وتبين لهم ما هم عليه بالحجة، وأنت أيضاً أيها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد، ويقولوا بخلق القرآن، ونفي الرواية؟ وها أنا خارج إن لم تخرج." [١]

---

[١] ترتيب المدارك لعياض (ترجمة الباقلاني) ١/ ٤٨٣ .وقارن : الموافقات ، للشاطبي ، ٣٧٢ – ٣٧٣ . حيث نقل الإمام الشاطبي هذه القصة ، وعقب عليها : بأن ما يخشاه ابن مجاهد وغيره إنما هو من =

فخرج إليهم ، وناظرهم ، فأفحمهم :

وكان من نتيجة ذلك أن نجا من القتل ، بل وتقول الرواية : " ولم يزل مع الملك الى أن قدم بغداد، ودفع إليه الملك ابنه، يعلمه مذهب أهل السنة "[1]

وقد صنف الإمام الباقلاني المصنفات الكثيرة المنشرة بشتى الأماكن والبلدان ، في الرد على المخالفين : من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم ..[2]

وكان من بركات ذلك – مناظراته ومؤلفاته – " أن الانتساب إلى الإعتزال كان فاشيا منتشراً ، وكل من كان متسنناً كان متخفيا مستتراً ، إلى أن قام القاضي أبو بكر بنصرة المذهب (أي السني الأشعري) وانتشر عنه في المشرق والمغرب ، وكان يظهره في دار السلام التي هي قبة الإسلام ، فلم يظهر لذاك تغيير من الإمام ، ولا نكير من السوقة العوام ، بل كان الكل يتقلدون منه الملة من العوام والأئمة ، ويلقبونه بأجمعهم سيف السنة لسان الأمة " [3]

المفاسد الجزئية التي لا اعتبار لها بالنظر إلى ما في جدال المبتدعة من مصالح كلية ، وقال : " وهو نوع من أنواع الجزئيات التي يعود اعتبارها على الكلي بالإخلال والفساد ." وهو كلام نفيس .

(1) ترتيب المدارك ١ / ٤٨٤ .

(2) تبين كذب المفتري ص ١٦٩ بتصرف .

(3) نفسه ص ٣٠١ – ٣٠٢

انظر : إلى تعبير ابن عساكر – لله دره – (كان الكل يتقلدون منه الملة .. ويلقبونه بأجمعهم – من جميع المذهب – سيف السنة) تقلدوا ولقبوا ، ولم يقولوا : إنه متكلم ، ولا إنه أشعري !!

حتى إن أبا الحسن التميمي الحنبلي إمام عصره في مذهبه ، كان يقول لأصحابه : " تمسكوا بهذا الرجل ، فليس للسنة عنه غنى أبداً " [١]

وإن الشيخ أبا الفضل التميمي الحنبلي : حضر العزاء يوم وفاته حافياً ، مع إخوته وأصحابه ، وأمر أن ينادى بين يدي جنازته : " هذا إمام المسلمين ، هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين ، هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة ردا على الملحدين "[٢]

وإن الإمام الجليل الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث (٣٠٦ – ٣٨٥ هـ) كان يعامله بالاحترام ، ويظهر من إكرامه ما يتعجب منه ، مما جعل الحافظ أبا ذر الهروي يدخل في مذهبه الأشعري ، كما حكى هو عن نفسه [٣]

---

(١) نفسه ص ١٧١ .

(٢) تبيين كذب المفتري ص ١٧٢ .

(٣) انظر : تفصيل ذلك في : تبيين ص١٦٩ . وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٥٨ .

وإن الإمام الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) يثني عليه قائلاً : " هو الذي كان ببغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان ، وبالحضرة .. ألوان البدع " [(١)] ... إلخ

إذن ، المناظرة عن السنة ، بالجدل والبرهان ، محمودة ، " ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين مشروعة " [(٢)] .

فماذا يقول الباحث صاحب (منهج الأشاعرة) في هذا ؟ !!

قد يقول الباحث – تحت وطأة ما سقناه – : نعم ، ولكن الأشعرية خاضوا في الكلام المبتدع ، وجادلوا بالباطل : إذ استمدوا من غير السنة ، وخالفوها في النتائج ، كما سبق بيانه .

وعندئذ نقول له : هذا الإجابة – لو حدثت – تعني إسقاط الدعوي الأولى من دعاويك الثلاث ، المشار إليها سابقاً ، فلننتقل إذن إلى مناقشة الدعويين الأخريين .والله المستعان :

مناقشة دعوى أن الأشعرية استمدوا من غير السنة ، وأنهم لم يوافقوها في النتائج :

إن ادعاء الباحث أن الأشعرية تلقوا من غير السنة ، ولم يوافقوها في النتائج ، لا يقوم على أساس صحيح ؛ وذلك أن أئمة القوم

---

(١) سير أعلام ١٧ / ٥٥٨ .

(٢) من كلام العز بن عبد السلام في رسالته : الملحة في اعتقاد أهل الحق ، نشرت ضمن رسائل في التوحيد ص ٢٦ ، ت إياد الطباع ، دار الفكر – بيروت ، ط١ ،١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

قد صرحوا في كتبهم أنهم اتبعوا منهج السلف الصالح ، ونصروا عقيدتهم المأخوذة من القرآن والسنة ، وإن توسعوا في استخدام العقل لكثرة الشبه في عصرهم :

ألم يقل الإمام البيهقي – وهو من أئمة الأشعرية – :

إن " شيخنا .. الأشعري رحمه الله .. لم يحدث في دين الله حدثاً ، ولم يأت فيه ببدعة ، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين ، فنصرها بزيادة شرح وتبيين ، وأن ما قالوا في الأصول وجاء به الشرع صحيح في العقول ، خلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء ، فكان في بيانه تقوية ما لم يدل عليه من أهل السنة والجماعة ، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري .. ، والأوزاعي ..ومالك .. وكأحمد ابن حنبل وغيره من أهل الحديث والليث بن سعد ..و.. البخاري و.. مسلم بن الحجاج .. إمامي أهل الآثار وحفاظ السنن التي عليها مدار الشرع رضي الله عنهم أجمعين .. " [١]

" وحين كثرت المبتدعة في هذه الأمة ، وتركوا ظاهر الكتاب والسنة ، وأنكروا ما ورد به من صفات الله – عزوجل – نحو : الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام ، وجحدوا مادلا عليه من المعراج وعذاب القبر والميزان ، وأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران ، وما لنبينا – صلى الله عليه و سلم –

---

[١] رسالة البيهقي إلى الشيخ العميد في فضائل أبي الحسن الأشعري: نقلاً عن : تبيين كذب المفتري ص ٨٨ .

من الحوض والشفاعة ، وما لأهل الجنة من الرؤية ، وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقين فيما قاموا به من الولاية ، وزعموا أن شيئا من ذلك لا يستقيم على العقل ولا يصح في الرأي : أخرج الله – عزوجل – من نسل أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – إماماً قام بنصرة دين الله ، وجاهد بلسانه وبيانه مَنْ صد عن سبيل الله ، وزاد في التبيين لأهل اليقين : أن ما جاء به الكتاب والسنة ، وماكان عليه سلف هذه الأمة مستقيم على العقول الصحيحة " [1]

إذن : لم يفعل الإمام الأشعري أكثر من أنه دافع عن عقيدة السلف بالحجج العقلية ، ضد المبتدعة والملحدين ، وأنه لم يكن بدعاً في ذلك ، وبتعبير البيهقي " وذلك دأب من تصدى من الأئمة في هذه الأمة ، وصار رأساً في العلم من أهل السنة في قديم الدهر وحديثه " [2]

وعلى هذا فهو: خلف حق ، لسلف صدق ، أحيا الله به السنة ، وأمات به البدعة [4] .

وعلى نهجه سار أصحابه : " فعلماء السنة إذن مجتمعون ، والأشعريون منهم لجماعتهم في علم الأصول موافقون " [5] .

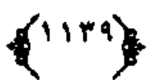
---

(١) تبيين كذب المفتري ص ٨٩ .

(٢) نفسه ص ٨٨ .

٤ نفسه ص ٨٩ بتصرف .

٥ نفسه ص ٩٠ .



وهم الأكثرية فيهم ، والقدح فيهم والإساءة إليهم " فيه مساءة أهل السنة والجماعة كافة ، ومصيبتهم عامة : من الحنفية والمالكية والشافعية ، الذين لا يذهبون في التعطيل مذاهب المعتزلة ، ولا يسلكون في التشبيه طرق المجسمة ، في مشارق الأرض ومغاربها " [٦]

وكيف يتهم هؤلاء الأئمة ببدعة أوهوى ، و " معولهم ، فيما يعتقدون ، الكتاب والسنة ؟ !!

.. (بينما) أهل الأهواء .. تركوا الكتاب والسنة ، وجعلوا معولهم عقولهم ، وأخذوا في تسوية الكتاب عليها ، وحين حملت عليهم السنة بزيادة بيان لنقض أقاويلهم ، إتهموا رواتها وأعرضوا

عنها ." ؟ !! [(١)]

هكذا قال الإمام الكبير البيهقي – رضي الله عنه – .

<u>وها هو ذا الإمام ابن عساكر :</u>

يرد على من افترى على الإمام الأشعري وأصحابه ، متهما إياهم بترك الكتاب والأثر ، و ركوب القياس والخطر ، بأن ذلك :

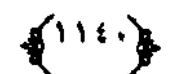
" كذب منه وزور ، ودعوى باطلة وغرور ، هل تمسكهم إلا بالكتاب المبين ؟

وهل تعلقهم إلا بالحديث المتين ؟

---

[٦] نسه ص٨٧ .

(١) تبيين كذب المفتري ص ٢٥٨ .



وهم الذين يستنبطون المعاني من النصوص ، ويبينون وجه العموم والخصوص ، ويكشفون عن الأحاديث بالتنقيب عنها ، والتصحيح ، ويأخذون في المختلف منها بأنواع الترجيح ، ويتبعون مما اختلف من الروايات رواية الثقات من المحدثين الاثبات .." [1]

إن " الأشعرية .. هم المتمسكون بالكتاب والسنة .. لا يتركون التمسك بالقرآن والحجج الأثرية ، ولا يسلكون في المعقولات مسالك المعطلة القدرية ، لكنهم يجمعون في مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول ، ويتجنبون افراط المعتزلة ، ويتنكبون طرق المعطلة .." [2]

والأشعرية – حسب تعريف الإمام ابن عساكر – هم أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة ، قرأوا كتب الأشعري ، الذي ألهمه الله نصرة السنة بحجج العقول ، فأخذوا بما فيها ، وانتحلوه ، واعتقدوا تقدمه ، واتخذوه إماماً ، حتى نسب مذهبهم إليه ، وانتظم شمل أهل السنة

به . [3]

ومن ثم يردد ابن عساكر – مع من أنشد من علماء دمشق – :

الأشعرية قوم قد وفقوا للصواب

---

[1] نفسه ص ٣٠١ – ٣٠٢ .

[2] تبيين كذب المفتري ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

[3] نفسه ص ٣٤ ، ٤٣ بتصرف .

لم يخرجوا في اعتقاد من سنة أو كتاب (١)

وها هو ذا حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) :

يبين أن متكلمي السنة " يتمسكون أولاً : بآيات الله تعالى من القرآن .

ثم بأخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

ثم بالدلائل العقلية ، والبراهين القياسية . " (٢)

و ها هو ذا العلامة المؤرخ الكبير ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) :

يعرف علم الكلام بأنه " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية ، و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة." (٣)

وبالتالي ، فموضوع هذا العلم عند متكلمي السنة :

" إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع " (٤)

---

(١) نفسه ص ١٣٦ .

(٢) الرسالة اللدنية له ، نشرت ضمن القصور العوالي ص ١٠٦ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٣ ، الناشر دار ابن الهيثم – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٤) نفسه ص ٣٧٩ .

ومسائله عندهم : " إنما هي عقائد متلقاه من الشريعة ، كما نقلها السلف ، من غير رجوع فيها إلى العقل ، ولا تعويل عليه ، بمعنى أنها لا تثبت إلا به " [١]

وإقامة الحجج العقلية عندهم : ليس بحثاً عن الحق فيها ، فإن النظر في مسائل الإلهيات بالتصحيح و البطلان ليس من موضوع علم الكلام ، و لا من جنس أنظار المتكلمين ، فهذا شأن الفلسفة ، وإنما هي لالتماس ما يعضد عقائد السلف ، ويدفع شبه أهل البدع عنها ..[٢]

وما دعاهم إلى خوض ذلك المجال : " كلام أهل الإلحاد ، في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية ، فاحتاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضاتهم ، و استدعى ذلك الحجج النظرية ، ومحاذاة العقائد السلفية بها " [٣]

ومن ثم يشيد ابن خلدون بطريقة أهل السنة الأشعرية ، فيقول :

" و جملت هذه الطريقة و جاءت من أحسن الفنون النظرية و العلوم الدينية " [٤]

وبعد : فهذه بعض أقوال أئمة الأشعرية ، التي تنص على : أنهم إنما يعتقدون ثم يستدلون .

---

[١] نفسه ص ٤١٨ .

[٢] انظر : المقدمة ص ٤١٨ – ٤١٩ .

[٣] نفس المصدر والصفحات .

[٤] نفسه ص ٣٧٩ .

بمعنى أنهم يأخذون عقائدهم من الكتاب والسنة الصحيحة ، ثم يقومون يالاستدلال عليها بالبراهين العقلية ، بخلاف الفلاسفة وغيرهم من أهل البدع .

وأن طريقتهم العقلية إنما لجاوا إليها للدفاع عن العقيدة السلفية..[١]

والآن قد وصل بنا قطار البحث إلى المبحث الثاني ، ألا وهو :

---

(١) وسأقوم – إن شاء الله تعالى – بعرض عقائدهم تفصيليا ، في جزء خاص ، ليرى القارئ بنفسه ، مدى صدق هذا الكلام .

المبحث الثاني : موقف الحنفية من الأشعرية

يحدثنا الباحث عن موقف الأحناف الأشعرية ، فيقول :

" معلوم أن واضع الطحاوية وشارحها كليهما حنفيان ، وكان الإمام الطحاوي معاصراً للأشعري وكتب هذه العقيدة لبيان معتقد الإمام أبي حنيفة وأصحابه ، وهي مشابهة لما في الفقه الأكبر عنه ، وقد نقلوا عن الإمام أنه صرح بكفر من قال : إن الله ليس على العرش أو توقف فيه ، وتلميذه أبو يوسف كفر بشراً المريسي ، ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كونه تعالى على العرش ، ومعلوم أيضاً أن أصولهم مستمدة من بشر المريسي " [1]

نقد هذا الكلام :

أولاً: هذا كل ما قاله الباحث عن حكم الأشعرية عند الحنفية ، فهل وجد القارئ فيه كلمة واحدة لفقيه من فقهاء الحنفية ، يحكم فيها على الأشعرية بالبدعة ويخرجهم من أهل السنة ؟ اللهم لا !!

ثانياً: إن الباحث ذكر أن صاحب الطحاوية وشارحها حنفيان ، وهذا صحيح ، لكنه لم يحدد الشارح المقصود ، مع أن للطحاوية شراحاً أحنافاً كثراً !! ولعله يقصد (ابن أبي العز) ..

فإن كان الأمر كذلك ، فلننقل كلمة عن الرجلين :

أما الإمام الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) :

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة ص ١١ .

فمن يقارن عقيدته بعقيدة الأشعرية فلن يجد فروقاً جوهرية بينهما ، ولهذا قال الإمام التقي السبكي : " ما تضمنته عقيدة الطحاوي هو ما يعتقده الأشعري ، ولا يخالف إلا في ثلاث مسائل " (١)

ووافقه على ذلك ابنه التاج السبكي ، قائلاً :

" وقد تأملت عقيدة أبي جعفر الطحاوي ، فوجدت الأمر على ما قاله الشيخ الإمام " (٢)

بينما من يقارن بين عقيدة الطحاوي وبين عقيدة الباحث وشيوخه :

فسيجد فروقاً جوهرية ، وحسبنا هنا أن نذكر قول الطحاوي : " تعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأدوات ، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات " (٣)

فهذا نفي صريح للجهة والعلو المكاني ، لا يقبل التأويل ؛ لأنه تعالى " كان قبل خلقها ، وهو الآن (على) ما عليه كان " (٤) كما يقول شارح الطحاوية الحنفي عبدالغني الميداني (ت ١١٩٨ هـ) .

فهل يقول الباحث وشيوخه (ابن تيمية وابن القيم وغيرهما) بهذا؟

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣٧٧ .

(٢) نفس المصدر ٣ / ٣٧٨ .

(٣) العقيدة الطحاوية ص ٢١٧ ، منشورة بذيل شرح العقيدة الطحاوية للميداني ، إخرلج كامل الحسيني ، الناشر دار البصائر – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

(٤) المصدر السابق ص ٨٧ .

وأما الشيخ ابن أبي العز الحنفي (ت ٦٩٩ هـ) :

فقد شرح الطحاوية بنصوص الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، وخرج عن معتقد الطحاوي وشيوخه الحنفية في بعض المسائل ، ومن ذلك : قوله بفناء النار ، وحلول الحوادث بذاته تعالى ، ونسبة الجهة العدمية إلى الله تعالى ..[1]

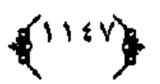
ثالثاً : إن قول الباحث – عن الطحاوية – : (وهي مشابهة لما في الفقه الأكبر) لأبي حنيفة : صحيح ؛ وذلك لأن الطحاوي قد نص على أنه كتبها على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن .[2]

والفقه الأكبر – كالطحاوية – موافق للعقيدة الأشعرية ، إلا في مسائل قليلة لفظية :

فمما ورد فيه مثلاً : " لا يشبه شيئا .. من خلقه ، ولا يشبه شئ من خلقه ، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية . أما الذاتية : فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة . وأما

(1) انظر : مسائل في علم التوحيد ، لوهبي سليمان غاوجي ، ص ٢٧ ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

(2) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠ ، ٢١٥ .



الفعلية : فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع ، وغير ذلك من صفات الفعل " [١]

" والله تعالى يتكلم بلا آلة ، ولا حروف ، والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق " [٢]

"وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها ، ولكن على معنى الكرامة

والهوان " [٣]

" والجنة والنار مخلوقتان اليوم ، لا تفنيان أبدا " [٤] ... إلخ

وهذا ما يعتقده الأشعرية ، فهل يعتقده الباحث الكريم ؟!!

رابعاً : قال الباحث (وقد نقلوا عن الإمام أنه صرح بكفر من قال إن الله ليس على العرش أو توقف فيه) ولم يقل لنا من هؤلاء الذين نقلوا ؟ ولا أين هذا النقل ؟ فهل هذا يتفق مع قواعد البحث العلمي ؟ !!

ولئن صح هذا النقل ، فإنه محمول على إنكار أن الرحمن على العرش استوى ، وهذا – ولا شك – كفر ، لأنه تكذيب للقرآن الكريم .

---

(١) الفقه الأكبر ، نشره الكوثري مع (العالم والمتعلم ، والوصية ، والرسالة إلى البتي) ص ٦٢ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط١ .

(٢) نفسه ص ٦٣ .

(٣) نفسه ص ٦٧ .

(٤) نفسه ٦٦ .

أما حمل النص على أنه يكفر نافي الاستقرار الجسماني على العرش ، فمستبعد على مثل هذا الإمام ، وكيف لا ؟ وهو القائل :

" ونقر بأن الله – سبحانه (و) تعالى – على العرش استوى ، من غير أن يكون له حاجة واستقرار [1] عليه ، وهو حافظ العرش وغير العرش ، من غير احتياج ، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين ، ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل العرش أين كان الله ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً " [2]

خامساً : إن قول الباحث : (ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كون الله تعالى على العرش) بعد زعمه أن أبا حنيفة يكفر من يفعل ذلك : إنما هو تكفير واضح لهم ، فكأنه قال منطقياً :

الأشعرية ينكرون كون الله تعالى على العرش ، وكل من ينكر ذلك كافر – حسب حكم الإمام – . إذن هم كفار في رأي الإمام .

فكان على الباحث أن يتأنى في كتابة مثل هذا الكلام ، خاصة وأنه صرح في موضع آخر من بحثه : بأنه لا يكفر الأشعرية [3]

على أن الأشعرية يثبتون علو الله تعالى ، ويؤمنون باستوائه تعالى على العرش ، على المعنى الذي يليق به ، مع تنزيهه تعالى عن المعنى الحسي ..

---

[1] في المطبوع : واستقر ، وهو خطأ واضح من السياق .

[2] الوصية في التوحيد لأبي حنيفة ، ص ٧٧ .

[3] انظر : منهج الأشاعرة ص ٤٠ ، ٤٣ .

وإني لأتعجب من الباحث حين أجده يصف أبا حنيفة بالإمام – وهو كذلك – ناسياً أو متناسياً أنه أحالنا إلى النص المنسوب لابن المديني (أن من خاض في شئ من الكلام ليس من أهل السنة) وقد جاء في آخره : " وإذا رأيت الرجل يحب أبا حنيفة ورأيه والنظر فيه ، فلا تطمئن إليه وإلى من يذهب مذهبه ممن يغلوا في مذهبه ويتخذه إماماً " [1] ؟ !!

وأخيراً : إن زعم الباحث أن أبا يوسف كفر المريسي [2] ، وأن الأشاعرة استمدوا أصولهم منه : يلزم عنه ما لزم عن زعمه السابق !!

وهو كلام لا يقوم على أساس ، ولا يستند إلى دليل ، بل تكثر الأدلة على بطلانه ..

وكيف لا ؟ وقد روى عن المريسي أنه كان يقول :

---

(1) شرح أصول اعتقادأهل السنة والجماعة ١/ ١٦٥ .

(2) هو : بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي مولى زيد بن الخطاب: كان يسكن الدرب المعروف به ويسمى درب المريسي .. وبشر من أصحاب الرأي ، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي، إلا أنه اشتغل بالكلام ، وجرد القول بخلق القرآن ، وكان مرجئاً، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة .. مات بشر المريسي سنة (٢١٨هـ) ويقال : سنة (٢١٩) [انظر: تاريخ بغداد ٧ / ٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١٩٩-٢٠٢ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٧٧ – ٢٧٨ ، ت إحسان عباس ، الناشر دار صادر – بيروت ، ١٩٠٠ م]

" القرآن مخلوق، وإن الله معه في الأرض ، وإن الجنة والنار لم يخلقا ، وإن منكراً ونكيراً باطل ، وإن الصراط باطل ، وإن الساعة باطل ، وإن الميزان باطل ، .. " [1]

وإن الله لا يرى يوم القيامة ، و كان ينكر الشفاعة [2]

فهل تقول الأشعرية بهذه الأقوال ؟ اللهم لا .

ويكفي أن يراجع القارئ ما كتبه عنه مؤرخوا الملل ، والعلوم ، من علماء الأشعرية ، كالأشعري ، والشهرستاني ، وعبد القاهر البغدادي ،والاسفرايني [3] ، والخطيب البغدادي ، وغيرهم :

---

[1] تاريخ بغداد ٧ / ٥٦ .

[2] المصدر السابق ٥٧/٧ .

[3] انظر على الترتيب : مقالات الإسلاميين ١/ ٢٢٢ – ٢٢٣ ، ت محمد محيي الدين عبدالحميد ، الناشر المكتبة العصرية – بيروت ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م . والملل والنحل ١ / ١٤٤ ، ت محمد سيد كيلاني ، دار صعب – بيروت ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

والفرق بين الفرق ص١١٤ ، ٢٠٤– ٢٠٥ ، ت محمد محيي الدين عبدالحميد ، الناشر المكتبة العصرية – بيروت ، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م . والتبصير في الدين ص ٦١ ، نشره السيد عزت العطار ، مطبعة الأنوار ، ط١ ، ١٣٥٩ هـ – ١٩٤٠م

فسيجد أنهم يعدونه من رؤوس المبتدعة ، وإليه تنسب فرقة (المَرِيسية) من فرق (المرجئة) ، وعدها عبدالقاهر البغدادي من فرق المعتزلة [1] أيضاً .

وقال عنه الخطيب : " وحكى عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة ، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها ، وكفره أكثرهم لأجلها " [2]

وذكر عبدالقاهر البغدادي ، والإسفراييني : أن الصفاتية – أي مثبتي الصفات كالأشعرية وغيرهم – قد ضللته في قوله بخلق القرآن وهجرته[3]

ولا أدري لماذا خص الباحث هذا المريسي بالذكر ؟

لِمَ لَم يأخذ الأشعرية أصولهم من رجل آخر من المعتزلة أو المرجئة غير بشر ؟ !!

على أن الباحث قد وسع الدائرة في موضع آخر من كتابه ، حيث زعم أن عقائد الأشعرية

" هي ما كان عليه فلاسفة اليونان ، ومشركوا الصابئة ، وزنادقة أهل الكتاب . لكن ورثها عنهم الجهم بن صفوان ، وبشر المريسي ، وابن كلاب " [4] ، وهم ورثوها عن هؤلاء .

---

[1] انظر الفرق بين الفرق ص ١١٤ .

[2] تاريخ بغداد ٧ / ٥٦ .

[3] انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٠٥. والتبصير في الدين ص ٦١.

[4] منهج الأشاعرة في العقيدة ص ٣٨ .

ما هذا ؟ !! أهم أخذوها عن الجهم ، أم عن بشر ، أم عن ابن كلاب؟

ومهما يكن من أمر : فإن هذا كل ما قدمه الباحث مما يدل – في نظره – على رفض الحنفية للمذهب الأشعري ، وقد بيّنا أنه لم يكن مصيباً فيما ذكر .

ونضيف هنا : أن غالبية الأحناف إما منتسبون إلى المذهب الأشعري ، وإما متفقون معه في المنهج وأصول العقائد ، وهم المعروفون بالماتريدية :

والمنتسبون منهم قد قدروا بالثلث ، والمتفقون بالثلثين [1] ، ولهذا قال التاج السبكي :

" والحنفية أكثرهم أشاعرة ، أعني يعتقدون عقد الأشعري ، لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة "[2]

وذكر التاج أنه تصفح كتب الماتريدية ، فوجد جميع المسائل التي فيها خلاف بين المدرستين – الأشعرية والماتريدية – ثلاث عشرة مسألة، ستاً منها معنوي ، والباقي لفظي ، والمعنوي منها لا يقتضي تكفيراً ولا تبديعاً [3]

---

(1) انظر : مقدمة تبيين كذب المفتري ، للكوثري ، ص ٢٤ .

(2) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٧٨ .

(3) انظر : نفس المصدر والصفحة .

وقد اعترف الباحث بأنهما " أكثر فرقتين في الإسلام تقارباً واشتراكاً في الأصول " [1]

ولهذا اعتبرت المدرستان : مدرسة واحدة تسمى (أهل السنة والجماعة) .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٤هـ):

" الْمُرَادُ بِالسُّنَّةِ : مَا عَلَيْهِ إمَامَا أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ ". [2]

ويقول العلامة ابن عابدين (١١٩٨ - ١٢٥٢ هـ) – وهو إمام الحنفية في عصره– في حاشيته:

" .. ما عليه أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة والماتريدية، وهم متوافقون إلا في مسائل يسيره أرجعها بعضهم إلى الخلاف اللفظي " [3]

ويقول القاضي كمال الدين أحمد البيضاوي – من أعلام القرن الحادي عشر– :

"إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم :الأشاعرة والماتريدية"[4]

---

[1] منهج الأشاعرة ص ٣٦ ، هامش (١) .

[2] الزواجر عن اقتراف الكبائر (الكبيرة الحادية والخمسون : ترك السنة) ٣/ ٤٢١ .

[3] حاشية رد المحتار على الدر المختار ١ / ٥٢ ، الناشر دار الفكر – بيروت ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

ويقول الشيخ زاهد الكوثري الحنفي :

" الأشعري والماتريدي هما إماما أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها " [٢]

ويقول الدكتور محمد السيد الجليند – وهو من المعاصرين – :

"فالمذهبان متقاربان إلى حد كبير ، وكلاهما مع متكلمي أهل الحديث والسلف يمثلون آراء أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد." [٣]

ونختم هذا المبحث :

بفتوى قاضي القضاة أبي عبدالله محمد بن علي الداماغاني (ت ٤٧٨هـ) الذي كان يقال له (أبوحنيفة الثاني) وفتواه حجة على من بخراسان من الحنفية، ونصها :

" ان الأشعرية أعيان السنة ونصار الشريعة ، انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم ، فمن طعن فيهم فقد طعن على

---

(١) نقلاً عن : مسائل في علم التوحيد لوهبي سليمان ص ١٤ .

(٢) مقدمة : تبين كذب المفتري ، ص ٢٧ .

(٣) موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ، (الماتريدية) ص ٣٣ ، الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

أهل السنة ، واذا رفع أمر من يفعل ذلك الى الناظر في أمر المسلمين وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كل أحد " [1]

وقد وقع على هذه الفتوى ، بخط يده ، كثير من فقهاء الحنفية في عصره وبعده .[2]

فهذا هو موقف فقهاء المدرسة الحنفية من الأشعرية ؟!!

فماذا عن موقف المالكية منهم ؟

---

(1) تبيين كذب المفتري ص ٢٤٩ .

(2) انظر : نفس المصدر والصفحة .

المبحث الثالث : موقف المالكية من الأشعرية .

تحدث الباحث الكريم عن حكم الأشعرية عند أئمة المذهب المالكي ، فقال :

" روى حافظ المغرب وعلمها الفذ ابن عبدالبر بسنده عن فقيه المالكية بالمشرق

ابن خويز منداد ، أنه قال في كتاب الشهادات شرحاً لقول مالك : ولا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ، وقال : (أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ويؤدب على بدعته ..) "[1]

نقد هذا الكلام :

إن الباحث لم يجد من فقهاء المالكية سوى واحد – هو ابن خويز منداد [2] – يعتبر الأشعرية من أهل البدع والأهواء ، ومعلوم – لدى

---

[1] منهج الأشاعرة في العقيدة ص ٩ .

[2] وهو: أبوعبدالله محمد بن علي بن إسحاق بن خويز منداد ، ويقال : خواز منداد ، ويقال : خوين منداد ، الفقيه المالكي البصري ، صنف كتبا كثيرة ، منها :كتابه الكبير في الخلاف ، وكتابه في أصول الفقه ، كان في أواخر المائة الرابعة (ت ٣٩٠هـ) [أنظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٤/ ٦٠٦ ، ولسان الميزان لابن حجر ٥/٢٩١ ، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦- ١٩٨٦]

العقلاء – أن رأي فقيه أو اثنين .. لا يعد رأي فقهاء المذهب ، هذا على فرض صحة نسبة هذا القول إلى قائله [٣]..

وهذا ما جعل الباحث يستشعر ضعف موقفه ، فراح يصف ابن خويز ب (فقيه المالكية بالمشرق) وكأنه يشير بهذا – ولو من بعيد – إلى : أن كل فقهاء المالكية بالمشرق – أو معظمهم – على رأيه !!

والواقع : أنه لا ابن خويز استحق هذا الوصف ، ولا فقهاء المالكية في المشرق على رأيه ، بل العكس هو الصحيح :

فها هو ذا الإمام أبوالوليد الباجي الفقيه المالكي الكبير (ت ٤٠٣ – ٤٧٤ هـ) يتكلم فيه ، ويقول : " إني لم أسمع له في علماء العراق بذكر" [٤] ، وينكر عليه عداءه لمتكلمي أهل السنة ، فيقول :" وكان يجانب الكلام جملة، وينافر أهله، حتى تعدى ذلك الى منافرته المتكلمين من أهل

---

[٣] لعل جملة (أشعرياً كان أو غير أشعري) مقحمة على النص ، يشعرني بذلك أن ابن عبد البر نقل عنه قبل هذه العبارة مباشرة قوله – في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف : " وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم " [جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١١٧] فابن خويز هنا يمثل لأصحاب الكلام بالمعتزلة وليس بالأشعرية ، وهذا هو المنطقي ؛ لكونهم فحولة المتكلمين من أهل الأهواء .. والله أعلم .

[٤] ترتيب المدارك ٤/٦٠٦ . وقارن : لسان الميزان لابن حجر ٥/٢٩١

السنّة. وحكم على الكل بأنهم من أهل الأهواء، الذين قال مالك في مناكحتهم وشهادتهم وإمامتهم وعيادتهم وجنائزهم ما قال ." [5]

وها هو ذا القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ)

يقول عنه :

" ولم يكن بالجيد النظر، ولا بالقوي الفقه " [1]

ويصفه بأنه " عنده شواذ عن مالك ، واختيارات وتأويلات لم يعرج عليها حذاق المذهب " [2]

والأغرب من هذا : أن ابن عبدالبر نفسه " طعن .. فيه أيضاً " [3] كما قال الحافظ ابن حجر !!

وهو – ابن عبدالبر– معدود من الطبقة من الخامسة [4] من طبقات الأشعرية ، ذكره التاج السبكي

<u>المالكية كلهم أشاعرة :</u>

ثم ما الذي يحوجنا إلى كل هذا الكلام ؟

---

[5] نفس المصدر والصفحة . وقارن : لسان الميزان نفس الصفحة

[1] ترتيب المدارك ، ولسان الميزان ، نفس الصفحات السابقة .

[2] نفس المصدرين والصفحات .

[3] لسان الميزان ٥/ ٢٩١ .

[4] طبقات الشافعية الكبرى (ترجمة الأشعري) ٣/ ٢٣٣ .

وقد نص العلماء على أن المالكية كلهم – في المشرق كانوا أم في المغرب – أشاعرة :

فها هو ذا الإمام التاج السبكي يقول :

" أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثنى أحداً"[5]

وها هو ذا الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعى المآيرقى – وهو من أئمة المالكية – يقول عن الإمام الأشعري :

" لما كثرت تواليفه ونصر مذهب السنة وبسطه ، تعلق بها أهل السنة من المالكية والشافعية وبعض الحنفية، فأهل السنة بالمغرب والمشرق بلسانه يتكلمون وبحجته يحتجون "[6]

وقد عدد الإمام المايرقي خلقا من أئمة المالكية ، كانوا يناضلون عن مذهب الأشعرى ويبدعون من خالفه ، وأطال في ذلك ، مما جعل التاج السبكي يقول :

" ولا حاجة إلى شرح ذلك ؛ فإن المالكية أخص الناس بالأشعرى ، إذ لا نحفظ مالكياً غير أشعرى ونحفظ من غيرهم طوائف جنحوا إما إلى اعتزال أو إلى تشبيه .. "[7]

---

[5] نفس المصدر والصفحة

[6] تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر ص وقارن : طبقات الشافعية الكبري ٣/ ٣٦٩ .

[7] طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٣٣ .

شهادة أئمة المالكية بأن الأشعري وأصحابه من أهل السنة:

وإلى القارئ الكريم نسوق بعض شهادات أئمة المالكية بأن الإمام الأشعري وأصحابه من أهل السنة ، على النحو التالي :

١- يذكر الإمام الحافظ أبوذر الهروي المالكي (ت ٣٥٥-٤٣٤هـ) – الذي أخذ علم الكلام الأشعري عن الإمام الباقلاني – أن كبار العلماء بخراسان وما حواليها من بلاد المشرق كانوا على المذهب الأشعري ، فيقول :

" كل بلد دخلته من بلاد خراسان وغيرها لا يشار فيها إلى أحد من أهل السنة إلا من كان على مذهبه وطريقه "[١]

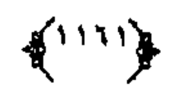
٢- والامام ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) عالم أهل المغرب – الذي كان إمام المالكية فى عصره ، ولقب بقطب المذهب وبمالك الصغير– أثنى على الإمام الأشعري ، وأجاب على من لامه على حبه ، ونسبه إلى ما هو برئ منه ، بقوله :

إنه " رجل مشهور أنه يرد على أهل البدع وعلى القدرية والجهمية، متمسك بالسنن "[٢]

---

[١] سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٥٥٧ .

[٢] تبيين كذب المفتري ص ١٠٢ .وقارن : طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٢٣٤ .



٤- والإمام أبو الحسن ابن القابسي القيرواني (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) - وهو من كبار أئمة المالكية بالمغرب - أثنى كثيراً على الأشعري وأتباعه ، ووصفهم بأنهم أهل الحق ، وذكر أنهم إنما استخدموا علم الكلام في الدفاع عن السنة ، فقال:

" اعلموا أن ابا الحسن الأشعري رضي الله عنه لم يأت من هذا الأمر - يعني الكلام - إلا ما أراد به إيضاح السنن والتثبيت عليها ودفع الشبه عنها .. وما أبو الحسن الأشعري إلا واحد من جملة القائمين بنصر الحق ، ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبته ذلك ولا من يؤثر عليه في عصره غيره ، ومن بعده من أهل الحق سلكوا سبيله في القيام بأمر الله عزوجل ، والذب عن دينه حسب اجتهادهم . "[٣]

ورد ابن القابسي على من قال : (وإن كان التوحيد لا يتم إلا بمقالة الأشعري) :

بأن هذا يدل على أنهم فهموا (أن الأشعري قال في التوحيد قولا خرج به عن أهل الحق) وهذا - بلا شك - باطل ، " لقد مات الأشعرى - رضي الله عنه - يوم مات وأهل السنة باكون عليه وأهل البدع مستريحون منه ، فما عرفه من وصفه بغير هذا "[٤]

---

[٣] نفس المصدر ص ١٠١ .

[٤] نفس المصدر والصفحة .

إذن لم يبتدع الأشعري عقيدة جديدة ، وإنما دافع عن عقيدة السلف بالعقل ، كما ذكر هذا الإمام ، وقد نص على نفس هذه الفكرة المهمة ، بصورة أوضح ، إمام مالكي آخر ، هو :

٥- أبوعبدالله المآيرقي : حيث قال :

" ولم يكن هو (أي الأشعري) أول متكلم بلسان أهل السنة ، إنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف ، فزاد المذهب حجة وبيانا ، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به ، ألا ترى أن مذهب أهل المدينة ينسب إلى مالك بن أنس – رضي الله عنه – ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكى ، ومالك .. إنما جرى على سنن من كان قبله ، وكان كثير الاتباع لهم ، إلا أنه لما زاد المذهب بيانا وبسطا وحجة وشرحاً .. ، فكذلك أبو الحسن الأشعرى – رضي الله عنه – لا فرق ، ليس له فى مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه ، وتواليفه فى نصرته ، فنجب من تلامذته خلق كثير بالمشرق .."[١]

٦- والقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) الامام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الاسلام :

يثني على الأشعري وأصحابه ، ويشيد بدفاع فقهاء القيروان – وبخاصة ابن أبي زيد – عنهم ،

---

١ تبيين كذب المفتري ص ٩٨ .وقارن : طبقات الشافعية الكبرى٣/٢٣٤ .

إذ يذكر أن رجلاً من المعتزلة " كتب الى فقهاء القيروان رسالة معروفة، يدعوهم فيها الى الاعتزال.. ويقول لهم: طريقة متكلمي أهل السنّة، ومذهب الأشعري، ويبدّعه، فجاوبوه (أي فقهاء القيروان) وردوا عليه، وجاوبه أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله، عن كتابه برسالة معروفة. ظهر فيها علمه وقوته في الكلام بالرد على أهل الأهواء. ونفى عن مالك وأصحابه جميع ما

نسب إليه." [٢]

هذا وقد تحدث عياض عن تلميذ الأشعري : القاضي الباقلاني ، فقال :

إنه " الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة، وأهل الحديث، وطريقة أبي الحسن الأشعري ... وكان حصناً من حصون المسلمين، وما سرّ أهل البدع بشيء كسرورهم بموته .. ذكره أبو عمران الفاسي فقال: سيف أهل السنة في زمانه، وإمام متكلمي أهل الحق في وقتنا " [٣]

فطريقة الأشعري وتلامذته ، إذن ، هي نصر عقيدة أهل السنة والحديث بالكلام الحق ..

---

[٢] ترتيب المدارك ١ / ٤٣٥ . والرجل المذكور هو : علي بن أحمد بن اسماعيل البغدادي ، وهذا الرجل غير معروف في المالكية، ولا معدود فيهم، وإنما تسمى بمذهب مالك لينفق بدعته عند العامة .

[٣] نفس المصدر ١ / ٤٨١ .

٧- والإمام ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩ هـ) :

يحدثنا عما قام به الأشعري من دفاع عن عقيدة أهل السنة ،فيقول:

إنه " صنف لأهل السنة التصانيف وأقام الحجج - على إثبات السنن وما نفاه أهل البدع ، من صفات الله تعالى ، ورؤيته وقدم كلامه ، وقدرته عز وجل ، وأمور السمع الواردة: من الصراط والميزان والشفاعة والحوض وفتنة القبر ، الذي نفته المعتزلة وغير ذلك ، من مذاهب أهل السنة والحديث ، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة ، والدلائل الواضحة العقلية ، ودفع شبه المعتزلة ومن بعدهم من الملحدة والرافضة وصنف في ذلك التصانيف المبسوطة التي نفع الله بها الأمة ..كتب كثيرة جداً عليها معول أهل السنة ." [٤]

وجملة القول : إن تقريظات فقهاء المذهب المالكي لطريقة الشيخ الأشعري في نصرة مذهب

أهل السنة : كثيرة ، يطول الأمر بنا جداً لو حاولنا استقصاءها، والسبب في ذلك – كما هو واضح – أنهم جميعا ، إلا من شذ ، قد ارتضوا طريقته ، واتبعوا نهجه ، وبدعوا من خالفه..

وعليه : فيطول عجبي ، مع هذا ، من ادعاء الباحث صاحب دراسة (منهج الأشاعرة في العقيدة) أن أئمة المذهب المالكي يبدعون مذهب الأشعري !!

---

[٤] الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، لابن فرحون ، ص ١٩٤

فهل سنجد نفس هذا الأمر ، مع أئمة المذهب الشافعي ؟

سنرى !!

المبحث الرابع : موقف الشافعية من الأشعرية.

ينقل الباحث عدة نصوص تفيد – في نظره – أن فقهاء الشافعية يأنفون من الانتساب إلى الأشعري ، ويتبرءون من مذهبه :

وهذا نص كلامه : " قال الإمام أبوالعباس بن سريج الملقب بالشافعي الثاني ، وقد كان معاصراً للأشعري : (لا نقول بتأويل المعتزلة، والأشعرية ، والجهمية ، والملحدة ، والمجسمة ، والمشبهة ، والكرامية ، والمكيفة ، بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل) .

قال الإمام أبو الحسن الكرجي من علماء القرن الخامس الشافعية ما نصه : (لم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ، ويتبرأون مما بنى الأشعري مذهبه عليه ، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه ، على ما سمعت عدة من المشايخ والأئمة) وضرب مثالاً بشيخ الشافعية في عصره الإمام أبوحامد الإسفرائيني الملقب الشافعي الثالث قائلاً :

(ومعروف شدة الشيخ أبي حامد على أهل الكلام حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري ، وعلقه عنه أبو بكر الرانقاني ، وهو عندي ، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه اللمع والتبصرة ، حتى لو وافق قول الأشعري وجها لأصحابنا ميزه وقال : هو قول بعض أصحابنا ، وبه قالت الأشعرية ، ولم يعدهم من أصحاب الشافعي ، استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلا عن أصول الدين) . اهـ.

وبنحو قوله بل أشد منه قال شيخ الإسلام الهروي النصاري . " [1]

نقد هذا الكلام :

بادئ ذي بدء ، أذكر بما قلته سابقاً : من أن قول فقيه أو اثنين أو حتى مجموعة محدودة ، لا يمثل قول فقهاء المذهب ، أو غالبيتهم !!

ثم : إن الباحث تحدث عن ثلاثة أعلام ، يبدعون – في نظره – المذهب الأشعري ، فلنبدأ بأولهم ذكراً ، وهو الفقيه الكبير ابن سريج :

فقد نسب إليه الباحث – اعتماداً على كتاب (اجتماع الجوش الإسلامية) لابن القيم – أنه يرفض تأويل المعتزلة والأشعرية ..إلخ

مما يعني أن ابن سريج يعد الأشعرية فرقة قائمة بذاتها ، وهذا أمر مستبعد جداً ؛ لأن الفقيه ابن سريج قد توفي سنة (٣٠٦ هـ) [2] ، بينما توفي الشيخ الأشعري – الذي ينسب إليه المذهب – سنة (٣٢٤هـ) وقيل : بعد ذلك [3]

أي إن ابن سريج قد مات قبل وفاة الأشعري بنحو عشرين عاماً !!

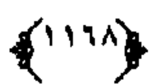
أضف إلى هذا : أن الأشعري كان وقت وفاة ابن سريج حديث عهد بالتسنن ، حيث كان قبله بوقت قليل ، لا يتجاوز ست سنين ، على مذهب المعتزلة :

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٠ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ٤/٢٩٠

(٣) انظر : تبيين كذب المفتري ص ١١٧ – ١١٨ .



فكيف أصبحت الأشعرية فرقة معروفة ومنتقدة ، بعد ست سنوات من ترك صاحبها للاعتزال ، وقبل وفاته بنحو عشرين ؟ !!

والباحث نفسه يقول – في موضع آخر من بحثه – : " الثابت تاريخياً أن مذهب الأشاعرة لم ينتشر إلا في القرن الخامس إثر انتشار كتب الباقلاني " (١) !!

إن التحقيق العلمي لهذه المسألة يجعلنا نقول : إن لفظة (الأشعرية) مقحمة في النص ؛ لأغراض معروفة !!

أو أن النص بكامله غير ثابت النسبة ، وهذا ما أثبته أحد الباحثين، إذ بين أن في سنده إلى ابن سريج انقطاعاً (٢)

هذا عما نسب إلى ابن سريج .

---

(١) منهج الأشاعرة ص ١٢ .

(٢) وذلك ؛ لأن الذي حكاه عن ابن سريج – حسب ما قال ناقله ابن القيم – هو (أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني) المولود سنة (٣٨٠) والمتوفى سنة (٤٧١ هـ) [انظر : سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٨٥- ٣٨٩ . والوافي بالوفيات للصفدي ١٥ / ١٨٠] أي إنه ولد بعد وفاة ابن سريج ب (٧٥) عاماً تقريباً ، ولم يذكر الواسطة بينه وبين ابن سريج . وكل سند منقطع فهو ضعيف [انظر : صلاح الدين الإدلبي : عقائد الأشاعرة ص ٣٨ ، الناشر دار السلام – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٩م]

أما ما ذكره الباحث عن الفقيه الكرجي :

فقد اعتمد فيه على كتب ابن تيمية ، الذي ذكر – بدوره – أن الكرجي قال ذلك الكلام في كتابه الذي سماه (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول) [1] :

وهذا الكتاب لم يصل إلينا ، ويبدو أن عبارات الهجوم على الأشعري دست فيه ، كما دس في قصيدته الآتي ذكرها ؛ وذلك للاعتبارات التالية :

(أ) أن الإمام ابن السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) – وهو أشعري – قد تتلمذ علي الكرجي ، وأثني عليه بقوله:

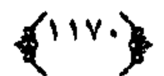
" إمام ورع عاقل فقيه مفت محدث شاعر .. أفنى طول عمره في جمع العلم ونشره " [2]

ولم يذكر أن له كتاباً بهذا العنوان ، ولا أنه ممن يهاجم الأشعري..

(ب) وأنه قال – عن أستاذه الكرجي – : "وله قصيدة بائية في السنة ، شرح فيها اعتقاده واعتقاد السلف ، تزيد على مائتي بيت

(١) انظر : الفتاوى الكبرى ٦/ ٥٩٨ ، ت حسنينمخلوف ، دار المعرفة – بيروت ، ط١ ، ١٣٨٦هـ . وشرح العقيدة الأصفهانية ص ٥٧]

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ١٣٧ .



قرأتها عليه في داره بالكرج " [1] والشاهد في هذا : أن ابن السمعاني ينص على أن معتقد شيخه فيها موافق للسنة ، وبالطبع هو يقصد بالسنة المذهب الأشعري ؛ لأنه مذهبه ؛ ولهذا قال التاج السبكي (ت ٧٧١ هـ) :

" ثبت لنا بهذا الكلام .. أن لهذا الرجل قصيدة في الاعتقاد على مذهب السلف موافقة للسنة ، وابن السمعاني كان أشعري العقيدة ، فلا نعترف بأن القصيدة على السنة واعتقاد السلف إلا إذا وافقت ما نعتقد أنه كذلك ، وهو رأى الأشعري " [2]

(ج) وأن التاج السبكي ذكر أنه وقف "على قصيدة تعزى إلى هذا الشيخ ، وتلقب بعروس القصائد في شموس العقائد ، نال فيها من أهل السنة ، وباح بالتجسيم .. وتكلم فيها في الأشعري أقبح كلام ، وافترى عليه أي افتراء " [3]

وذكر السبكي من القرائن ما يرجح أن الجزء الأخير منها ملفق موضوع .. [4]

مما يدل على أن الرجل قد ابتلي بالدس عليه ، والله أعلم .

هذا فيما يتعلق بصحة نسبة النص إلى الكرجي .

---

(١) نفسه

(٢) نفسه

(٣) نفسه

(٤) انظر : نفس المصدر ٦/ ١٣٧ – ١٤٠ .

أما ما يتعلق بتحليل مضمون النص – على فرض صحته – فنقول :

إن النص يذكر أن أئمة الشافعية يأنفون من الانتساب إلى الأشعري ، وينهون أصحابهم من الحوم حول مذهبه :

وهو كلام يخالف التاريخ والواقع ، مخالفة صارخة ؛ وذلك أن من يراجع تاريخ فقهاء الشافعية ، ويتعرف على الواقع : سيدرك بجلاء أن معظمهم على المذهب الأشعري في العقيدة ، وأدنى مراجعة لكتب تراجم وطبقات الشافعية تظهر ذلك بلا مراء !!

وها هو ذا (صاحب طبقات الشافعية الكبري) يقول – لمن يريد أن يعرف – :

" والشافعية غالبهم أشاعرة ، لا أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم او اعتزال " (١)

وها هو الإمام أبوالعباس المعروف بقاضي العسكر– من كبار فقهاء الحنفية – يقول :

" وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما استقر عليه مذهب أبي الحسن الأشعري ، وصنف أصحاب الشافعي كتبا كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعري " (٢)

---

(١) نفسه ٣/ ٢٤٠ .

(٢) تبيين كذب المفتري ص ١١٣ .

وأما ما ذكره النص المنسوب للكرجي : من أن الإمامين الكبيرين أبا حامد الإسفراييني وأبا إسحاق الشيرازي قد ميزا أصول فقه الشافعي من أصول الاشعري :

فكلام غريب !! ولعمري هل للأشعري أصول غير أصول الشافعي ؟

لقد كان الأشعري شافعياً ، ولم يخالف الشافعي إلا نادراً ، وفي هذا يقول الإمام أبو محمد الجويني – في كتابه (عقيدة أصحاب الإمام المطلبي الشافعي وكافة أهل السنة والجماعة)- :

" وأبو الحسن (الأشعري) أحد أصحاب الشافعي .. ، فإذا خالفه في شئ أعرضنا عنه فيه ، ومن هذا القبيل : قوله : ان لا صيغة للأمر ، وتقل وتعز مخالفته أصول الشافعي .. ونصوصه ." [1]

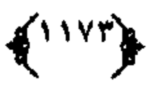
واضح من هذا أن بعض أصحاب الأشعري لم يوافقوه في المسائل القليلة التي خالف فيها الشافعي في أصول الفقه ، وذلك لا يعني البتة أنهم تركوا مذهب الأشعري في العقيدة ، كما قد يظن ، بل إن التاريخ يقول : إنهم ظلوا مدافعين عن مذهبه حتى لقوا ربهم :

وفي مثل هذا يقول الحافظ ابن عساكر – رحمه الله – :

" وهذه المسائل التي أشار إليها لا تكسب أبا الحسن تشنيعاً ، ولا توجب له تكفيرا ولا تضليلا ولا تبديعا ، ولو حققوا الكلام فيها لحصل الإتفاق ، وبان بأن الخلاف فيها حاصله الوفاق ، وما زال العلماء يخالف بعضهم بعضا ، ويقصد دفع قول خصمه إبراماً ونقضاً، ويجتهد في إظهار

---

[1] تبين ص ٩٦ .



خلافه بحثاً وفحصاً ، ولا يعتقد ذلك في حقه عيباً ونقصاً ، وقديماً ما خالف أبا حنيفة صاحباه ، وأجابا في كثير من المسائل بما أباه ، والله يتغمد جميع العلماء برحمته " (١)

وهذا ما ينطبق على أبي محمد الجويني ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وغيرهما ممن خالف الأشعري في بعض مسائل أصول الفقه ، تمام الانطباق .

لنقرأ ما يقوله ابن عساكر عن أبي إسحاق الشيرازي ، وفيه الغنية:

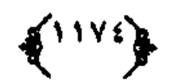
" وكان يظن به بعض من لا يفهم (تأمل) أنه مخالف للأشعري ؛ لقوله في كتابه في أصول الفقه : وقالت الأشعرية : إن الأمر لا صيغة له، وليس ذلك لأنه لا يعتقد إعتقاده ، وإنما قال ذلك ؛ لأنه خالفه في هذه المسئلة بعينها ، كما خالفه غيره من الفقهاء فيها ، فأراد أن يبين فيها أن هذه المسئلة مما انفرد بها أبو الحسن . وقد ذكرنا في كتابنا هذا عنه فتواه فيمن خالف الأشعرية واعتقد تبديعهم ، وذلك أوفى دليل على أنه منهم " (٢)

والفتوى – التي يشير إليها ابن عساكر – هي قول الشيرازي :

---

(١) نفسه ص ١١٣ .

(٢) نفسه ص ٢١٢ .



" إن الأشعرية أعيان السنة ، ونصار الشريعة ، انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم ، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة " [1]

ووصفه لمذهب الأشعري بأنه : " مذهب أهل الحق " [2]

وإعلانه الالتزام بهذا المذهب ، " وبه ندين الله عز وجل " [3]

ونصه على أن هذا المذهب " هو الذي كان عليه أئمة أصحابنا (أي الشافعية) واهتدي به خلق كثير " [4]

وقوله – صراحة – : " وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة ، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه " [5]

أبعد هذا كله يقال : إن أبا إسحاق الشيرازي لم يعد أئمة الأشعرية من أصحاب الشافعي [6] ؟ !!

---

(1) تبيين ص ٢٤٩ .

(2) نفسه ص ٢٣٨ .

(3) نفس المصدر والصفحة .

(4) نفس المصدر والصفحة .

(5) طبقات الشافعيةالكبرى ٣/ ٢٣٩ .

(6) ذكر الشيخ الكوثرى أن غلاة الحنابلة هم الذين أشاعوا أن الشيخ أباإسحاق تبرأ من مذهب الأشعري : فلما بلغ ذلك الشيخ غضب لذلك غضبا لم يصل أحد إلي تسكينه ، حتي كتب إلي نظام الملك يشكو إليه أهل الفتن ، فعاد الجواب في سنة (٤٧٠ هـ) إلي الشيخ باستجلاب خاطره =

إن الشيخ ابن تيمية نفسه - الذي نقل النص المنسوب إلى الكرجي- :

لم يدع ما ادعاه الباحث من خصومة الأئمة المذكورين للمذهب الأشعري ، بل على العكس ، أشار إلى حبهم للأشعري ، وكل ما رام إثباته من سوق النص : هو إثبات أنهم خالفوه في مسألة بعينها ، هي الكلام النفسي ..

لنقرأ : ".. حتى الذين يحبون الأشعري ، ويمدحونه بما كان منه من الرد على أهل البدع الكبار من المعتزلة والرافضة ونحوهما ، ويذبون عنه عند من يذمه ويلعنة ، ويناصحون عنه من أئمة الطوائف ، يعترفون بذلك ويقولون : إنا نخالفه في ذلك ، ويجعلون ذلك من أقواله المتروكة ، إذ لكل عالم خطأ من قوله يترك ، أو يمسكون عن نص هذا القول والدعاء إليه " [1]

وتعظيمه ، والأمر بتأديب الذين أثاروا الفتنة .. فهدأ الحال وسكن جأش الشيخ وانقمعت الحشوية .[انظر : هامش (١) من تبيين كذب المفتري ص ٢٤١]

(١) الفتاوى الكبرى ٦ / ٥٩٧ .

موقف الهروي الحنبلي من الأشعرية :

وأما إشارة الباحث إلى خصومة الشيخ عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي (ت ٤٨١ هـ) للأشعرية ، ووصف موقفه بأنه (أشد من موقف الكرجي) :

فصحيح من ناحية عدائه للأشعرية ، لكنه غير صحيح من ناحية عدّه من فقهاء الشافعية ، بل المعروف أنه حنبلي :

وقد روى صاحب (طبقات الحنابلة) [(١)] – بإسناده – عن محمد بن علي الهمذاني أنه قال:

" أنشدنا عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الحنبلي شيخ الإسلام لنفسه من قصيدة له في السنة:

أنا حنبلي ما حييت فإن أمت ... فوصيتي ذاكم إلى إخواني[(٢)] "

والرجل من الحنابلة الذين غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه:

وفيه يقول التاج السبكي : كان " يتظاهر بالتجسيم والتشبيه ، وينال من أهل السنة " [(١)]

---

(١) ابن أبي يعلى : ١/ ٢٦٩ ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١ هـ.

(٢) ذكر الذهبي هذا البيت بلفظ : (أنا حنبلي ما حييت وإن أمت * فوصيتي للناس أن يتحنبلوا) [سير أعلام النبلاء ١٨ / ٥٠٦]

ويذكر الذهبي " أن السلطان ألب أرسلان قدم هراة ، ومعه وزيره نظام الملك، فاجتمع إليه أئمة الحنفية وأئمة الشافعية للشكوى من الانصاري، ومطالبته، بالمناظرة، فاستدعاه الوزير .." [٢]

وسبب الشكوى – بالإضافة إلى غلوه في الإثبات – : أنه كان يقع في إمامهم الأشعري ، (وينال من أهل السنة) بتعبير السبكي ، ومما قاله فيهم :

أنهم " عابوا القرآن ، وضللوا الرسول ، فلا تكاد ترى منهم رجلا ورعاً ، ولا للشريعة معظماً ، ولا للقرآن محترماً ، ولا للحديث موقراً ... وقد شاع في المسلمين أن رأسهم علي بن اسماعيل الأشعري كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي " [٣]

وبالطبع ، هذا الكلام لا يقوم على أساس ، وحسب القارئ أن يعرف ما رواه الحافظ ابن عساكر – بإسناده – عن أبي الحسين السروي ، أنه قال :

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (ترجمة أبي عثمان الصابوني) ٤ / ٢٧٢ . ويذكر السبكي أن المجسمة بمدينة هراة ثارت نفوسهم من تلقيب الصابوني الأشعري بشيخ الإسلام ، فعمدوا إلى أبي إسماعيل الأنصاري فلقبوه به .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٥١١ .

(٣) كتاب ذم الكلام ، له ، نقلاً عن : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لابن تيمية ٢/ ٤٠٢ ، تحقيق ابن قاسم ، الناشر مطبعة الحكومة – مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٣٩٢هـ .

" كان الشيخ أبو الحسن – يعني الأشعري – قريباً من عشرين سنة يصلي صلاة الصبح بوضوء العتمة ، وكان لا يحكي شيئاً عن اجتهاده لأحد " [1]

فإذا كان الهروي بهذا الحال – من غلاة الحنابلة ، ويشكوه أئمة الشافعية – فكيف يعده الباحث – مع هذا – من الشافعية المهاجمين للأشعرية ؟ !!

وأياً ما كان الأمر : فنخلص مما عرضناه في هذا المبحث إلى أن الغالبية العظمى من فقهاء الشافعية ، على المذهب الأشعري في العقيدة ، وقد أفتى كثير منهم بأن :

(الأشعرية هم أعيان أهل السنة ونصار الشريعة ، انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم ، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة) [2]

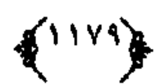
وأن " الأشعري – رحمة الله عليه – إمام من أئمة أصحاب الحديث ، ورئيس من رؤسائهم في أصول الدين ، وطريقته طريقة السنة والجماعة ، ودينه واعتقاده مرضي مقبول عند الفريقين " [3]

---

(1) تبيين ص ١١٣ .

(2) انظر في ذلك : تبيين كذب المفتري ص ٢٣٥ – ٢٤٠ .

(3) نفس المصدر ص ٩٥ .



المبحث الخامس: موقف الحنابلة من الأشعرية:

يقول الباحث : إن " موقف الحنابلة من الأشاعرة أشهر من أن يذكر، فمنذ بدع الإمام أحمدُ ابنَ كُلاب ، وأمر بهجره – وهو المؤسس الحقيقي للمذهب الأشعري – لم يزل الحنابلة معهم في معركة طويلة ، وحتى في أيام دولة نظام الملك – التي استطالوا فيها – وبعدها كان الحنابلة يُخرجون من بغداد كل واعظ يخلط قصصه بشئ من مذهب الأشاعرة ، ولم يكن ابن القشيري إلا واحداً ممن تعرض لذلك " [1] كذا قال !!

نقد هذا المقال :

أولاً : إن زعم الباحث أن الحنابلة في معركة طويلة مع الأشعرية منذ نشأتهم : ليس صحيحا على إطلاقه ، بل لا بد من تقييده بغلاتهم [2]، الذين بالغوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه والتجسيم (الحشوية) .

نعم كان هؤلاء في عداء مع الأشعرية وغيرهم من أهل السنة ، بسبب إنكار الأخيرين عليهم .

وهؤلاء هم الذين عناهم الإمام ابن الجوزي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) بقوله :

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة ص ١١ .

(٢) وذلك في الأغلب الأعم . فتنبه !



" ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ، .. فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس ...

ويقولون : نحن أهل السنة ، وكلامهم صريح في التشبيه .

وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت : ياأصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع ، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – يقول وهو تحت السياط : كيف أقول ما لم يقل .

فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ... فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه ، فلقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً ، حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسم ..

وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم : لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى

يوم القيامة " [1]

قلت : وأما الحنابلة المعتدلون فلم يكونوا في عداء مع الأشعرية ، بل كانت العلاقة بينهم حميمية ، وكان الحنابلة يستفيدون من ردود الأشعرية على أهل البدع ويعتضدون بهم :

---

(1) دفع شبه التشبيه ص ٦ – ٩ ، ت زاهد الكوثري ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ، ط١ ، بدون تاريخ .

وها هو ذا الحافظ ابن عساكر يحدثنا عن هذه العلاقة ، فيذكر أن الأشعري كان فاضلاً ، شرح

معتقد السلف وبينه ، ووصف أحمد بالفضل وأعلن اتباعه له [١] .

ثم قال عن الإمامين أحمد والأشعري وأصحابهما – في نص بالغ الأهمية – :

" لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين ، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين . ولم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع ؛ لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات ، فمن تكلم منهم في الرد على مبتدع فبلسان الأشعرية يتكلم ، ومن حقق منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلم " [٢]

وذكر الحافظ أن الأشعري كان صديقاً للتميميين – وهم من كبار الحنابلة – وأنهم كانوا له مكرمين ، وقد ظهر بركة تلك الصحبة على أعقابهم ، حتى نسب إلى مذهبه من أصحابهم :

أبو الخطاب الكلوذاني [٣]، وكذلك كان بينهم وبين صاحبه أبي عبدالله بن مجاهد ، وصاحب صاحبه أبي بكر بن الطيب من المواصلة والمؤاكلة ، ما يدل على كذب من قال بوجود عداء بين الفريقين.[١]

---

(١) انظر : تبيين ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩ .

(٣) هو : الشيخ الامام، العلامة الورع، شيخ الحنابلة أبو الخطاب محفوظ ابن أحمد بن حسن بن حسن العراقي، الكلواذاني ، البغدادي . ولد =

وقد أقر الشيخ ابن تيمية بهذا الأمر ، حيث قال : " ولهذا لما كان أبو الحسن الأشعري وأصحابه منتسبين إلى السنة والجماعة ، كان منتحلا للإمام أحمد ، ذاكراً أنه مقتد به متبع سبيله ، وكان بين أعيان أصحابه من الموافقة والمؤالفة لكثير من أصحاب الإمام أحمد ما هو معروف ، حتى إن أبا بكر عبد العزيز يذكر من حجج أبي الحسن في كلامه مثل ما يذكر من حجج أصحابه لأنه كان عنده من متكلمة أصحابه.

وكان من أعظم المائلين إليهم : التميميون أبو الحسن التميمي وابنه وابن ابنه ونحوهم وكان بين أبي الحسن التميمي وبين القاضي أبي بكر بن الباقلاني من المودة والصحبة ما هو معروف مشهور" (٢)

وكذلك فعل الذهبي (٣) .

سنة (٤٣٢ هـ) صنف التصانيف ،كان إلكيا الهراسي إذا رآه يقول : جاء الجبل . قال ابن النجار: درس الفقه على أبي يعلى،..وصار إمام وقته، وشيخ عصره، وصنف في المذهب والاصول والخلاف والشعر الجيد .. توفي سنة (٥١٠ هـ) [انظر : سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٤٨ – ٣٥٠]

(١) تبيين ص ٢٨٨ بتصرف

(٢) مجموع الفتاوى ٤ / ١٦٧ . وقارن : درء تعارض العقل والنقل ٢٨٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٨ .

فكيف أغضى الباحث عن كل هذا ؟ !! لا أدري .

هذا ، وقد بين الحافظ ابن عساكر أن العلاقة بين الفريقين ظلت على تلك المودة ، إلى أن

قام غلاة الحنابلة بإحداث الفتن مع الإمام أبي نصر القشيري (ت ٥١٤هـ) ، لنقرأ :

" فلم يزالوا كذلك حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر القشيري ووزارة النظام ووقع بينهم الإنحراف من بعضهم عن بعض لإنحلال النظام .

وعلى الجملة : فلم يزل في الحنابلة طائفة تغلو في السنة ، وتدخل فيما لا يعنيها ،حباً للخفوف في الفتنة ، ولا عار على أحمد – رحمه الله – من صنيعهم ، وليس يتفق على ذلك رأي جميعهم .

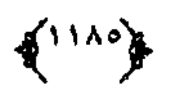
ولهذا قال أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين – وهو من أقران الدارقطني ومن أصحاب الحديث المتسننين .. – : رجلان صالحان بليا بأصحاب سوء : جعفر بن محمد ، وأحمد بن حنبل " [1]

<u>قصة الفتنة :</u>

وما حدث هو : أن إمام الأئمة وحبر الأمة أبا نصر القشيري عقد مجلسه ببغداد – وكان يحضره الخواص وكبار الأئمة في عصره كالشيخ أبي إسحاق الشيرازي فقيه العراق في وقته ، كما كان يحضره

---

(1) تبيين كذب المفتري ص ١٢٩ .



العوام ، وقلما كان يخلوا مجلسه من إسلام جماعة من أهل الذمة – فدعا الناس إلى التوحيد ، وقدس الباري – تعالى – عن الحوادث والتحديد ..

فاعترض عليه جماعة من الحشوية والأوباش ، وأبوا إلا التصريح بأن المعبود ذو قدم وأضراس ولهوات وأنامل ، وأنه ينزل بذاته ، ويتردد على حمار في صورة شاب أمرد بشعر قطط وعليه تاج يلمع ، وفي رجليه نعلان من ذهب ، وأنه تعالى يتكلم بصوت كالرعد كصهيل الخيل.

وحفظ ذلك عنهم ، وعللوه ، ودونوه في كتبهم ، وإلى العوام ألقوه، زاعمين أن هذه الأخبار لا تأويل لها ، وأنها تجري على ظواهرها وتعتقد كما ورد لفظها .

وينقمون على أهل الحق ؛ لقولهم : إن الله تعالى موصوف بصفات الجلال ، منعوت بالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة والكلام، وهذه الصفات قديمة ، وإنه يتعالى عن قبول الحوادث ، ولا يجوز تشبيه ذاته بذات المخلوقين ولا تشبيه كلامه بكلام المخلوقين .. [1]

فقام إليهم أصحاب الإمام ، وكادت الفتنة تضطرم ، فبعث إليه نظام الملك يستحضره من بغداد إلى أصبهان ، فأكرم مورده ..

وكتب الإمام يشكوا هؤلاء الحشوية ، ويطلب فتوى العلماء في ذلك:

وقد ذكر فيما كتب : أنه " من المشهور المعلوم أن الأئمة الفقهاء على إختلاف مذاهبهم في الفروع كانوا يصرحون بهذا الإعتقاد (على الطريقة الأشعرية) ويدرسونه ظاهرا مكشوفاً لأصحابهم ومن هاجر من

---

[1] انظر : نفس المصدر ص ٢٣٤ – ٢٣٦ .

البلاد إليهم ، ولم يتجاسر أحد على إنكاره ، ولا تجوز متجوز بالرد عليهم ، دون القدح والطعن فيهم . وان هذه عقيدة أصحاب الشافعي – رحمة الله عليه – يدينون الله تعالى بها ، ويلقونه باعتقادها ، ويبرؤن إليه من سواها ، من غير شك ولا إنحراف عنها "[1]

فأقره كبار الأئمة في عصره[2] على ما قال ، وكتبوا بتصحيح مقاله وموافقته في اعتقاده خطوطهم المعروفة : أنهم لم يسمعوا من الإمام أبي نصر القشيري " غير مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة ، وبه ندين الله عزوجل ، وهو الذي كان عليه أئمة اصحابنا ، واهتدى به خلق كثير من المجسمة واليهود والنصارى فصاروا أكثرهم على مذهب أهل الحق ، ولم يبق من المبتدعة إلا نفر يسير فحملهم الحسد والغيظ على سبه وسب الشافعي رضي الله عنه ونصار مذهبه ..

وهذا الأمر لا يحل الصبر عليه ويتعين على من بيده قوام الدين والنظر في أمور المسلمين أن ينظر في هذا ويزيل هذا المنكر"[3]

هذه هي قصة ابن القشيري مع غلاة الحنابلة .

---

[1] تبيين كذب المفتري ص ٢٣٦ .

[2] مثل : أبي إسحاق الشيرازي والحسين بن محمد الطبري (ت ٤٩٥ هـ) وأبي بكر الشاشي (ت ٥٠٧هـ) وأبي عبدالله بن البقال (ت ٤٧١هـ) وأبي المعالي الجيلي (ت ٤٩٤هـ) وعبد الله بن سلامة الكرخي ، وسعد الله بن محمد الخاطب وغيرهم .[انظر : تبيين كذب ص ٢٩٨ وما بعدها]

[3] نفس المصدر ص ٢٣٨ وانظر ما بعدها .

فهل ينتصر باحثنا لهؤلاء الحشوية المجسمة ؟!!

<u>أما ما ذكره الباحث :</u> من تبديع الإمام أحمد للإمام عبدالله بن سعيد بن كلاب (ت بعد ٢٤٠هـ) – دون أن يذكر المصدر الذي أخذ منه هذا الكلام ، أو سبب هذا التبديع – فقد رد على مثله العلامة ابن أبي زيد القيرواني ، لمّا طعن رجل من معتزلة بغداد في ابن كلاب ، فقال :

" ونسبت ابن كلاب إلى البدعة ، ثم لم تحك عنه قولا يعرف إنه بدعة ، فيوسم بهذا الإسم ، وما علمنا من نسب إلى ابن كلاب البدعة ، والذي بلغنا أنه يتقلد السنة ، ويتولى الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع "[1]

إن ابن أبي زيد – وهو من هو – لم يعلم من نسب ابن كلاب إلى البدعة ، بل ويذكر

أن المعروف عنه أنه من أهل السنة الرادين على أهل البدعة ، ويأخذ على المعتزلي أنه لم يحك عنه بدعة ، وهذا ما فعله الباحث هنا!!.

وليس ابن أبي زيد وحده الذي شهد بسنية ابن كلاب ، بل شهد له بذلك كثير من العلماء :

١- فها هو ذا الإمام عبدالقاهر البغدادي يقول : " ومن متكلمي أهل السنة .. عبدالله

---

[1] نفس المصدر ص ٢٩٨ – ٢٩٩ .

ابن سعيد التميمي ، الذي دمر على المعتزلة في مجلس المأمون وفضحهم ببيانه " [١]

٢- والإمام الشهرستاني يذكر ابن كلاب وأبا العباس القلانسي والمحاسبي ، فيقول :

" وهؤلاء كانوا من جملة السلف ، إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية."[٢]

٣- والإمام ابن تيمية يتحدث عن الكلابية ، فيقول – رغم خلافه معهم في بعض المسائل – : " فهؤلاء في الجملة لا يطعنون في السلف ، بل قد يوافقونهم في أكثر جمل مقالاتهم . " [٣]

٤- والإمام الذهبي يقول عنه : " والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظريهم."[٤]

٥- والشيخ زاهد الكوثري يقول عنه : " كان إمام متكلمة السنة في عهد أحمد وممن يرافق الحارث المحاسبي"[١] ... إلخ

---

(١) أصول الدين ص ٣٠٩ .

(٢) الملل والنحل ١ / ٩٣ .

(٣) نقض المنطق ، لابن تيمية ص ١٠٧ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١١ / ١٧٥ .

فابن كلاب إذن من أهل السنة .

وما قيل من هجر ابن حنبل له : فمحمول – على تقدير صحته – على كراهة أحمد الخوض في الكلام وتورعه عنه ، وقد بينا أن الخوض فيه عند الحاجة متعين على خلاف ما يرتئيه الإمام أحمد.[٢]

كما سبق بيانه .

فضلاء الحنابلة أشعريون :

هذا ، وقد ذكر العلماء أن معتدلي الحنابلة أشعريون ، إما انتساباً ، كالإمام الكلوذاني المشار إليه سابقاً وغيره ، وإما اتفاقاً في أصول العقائد ، كالتميميين المشار إليهم أيضاً سابقاً ، وابن عقيل وغيرهم .

وفي ذلك يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام :

" إن الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة أشعريون " [٣]

وقد وافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية فى زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيرى [٤]

---

(١) تبيين كذب المفتري ص ٢٩٨ هامش (١) .

(٢) انظر نفس المصدر ص ٢٩٩ هامش (١) .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (ترجمة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري) ٣ / ٢٣٧ .

(٤) نفس المصدر ٣ / ٢٣٢ بتصرف يسير .

ويقول الشيخ زاهد الكوثري : " المالكية كافة ، وثلاثة أرباع الشافعية ، وثلث الحنفية ، وقسم من الحنابلة على هذه الطريقة (الأشعرية) .. من عهد الباقلاني ، والثلثان من الحنفية على الطريقة الماتريدية "[1]

ويقول التاج السبكي : " هؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة ، يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله " [2]

وذكر التاج السبكي أن جماعة من الحنابلة – منهم أبوالوفاء بن عقيل – قد أقروا بصحة فتوى أبي إسحاق الشيرازي في واقعة أبي نصر القشيري ، وقد نقلت نصها من قبل ، وكتبوا تحتها خطوطهم .[3]

وها هو ذا : الإمام ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) يقول بصريح العبارة :

" وإلى أبي الحسن الأشعري انتهت رياسة الدنيا في الكلام " [1]

---

(١) مقدمة تبيين كذب المفتري ص ٢٤ .

(٢) معيد النعم ومبيد النقم ، للسبكي ، ص ٦٢ ، نقلاً عن البيان لما يشغل الأذهان للدكتور علي جمعه ص ١٣٦ الناشر دار المقطم – القاهرة، بدون تاريخ .

(٣) انظر : نفس المصدر (استفتاء آخر في واقعة أبي نصر القشيري) ٣ / ٢٣٩ .

ثم يقول : " ولعمري إن هذا الاعتقاد هو ما ينبغي أن يعتقد ... وأنا أشهد الله أنني أعتقده جميعه ، وأسأل الله الثبات عليه " (٢)

وها هو : الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ) يقول :

" أهل السنة ثلاث فرق :

(١) الأثرية : وإمامهم أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى .

(٢) والأشعرية : وإمامهم أبوالحسن الأشعري – رحمه الله تعالى .

(٣) والماتريدية : وإمامهم أبومنصور الماتريدي (رحمه الله تعالى)." (٣)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢/ ٣٠٣ ، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) نفسه ٢/٣٠٥ .

(٣) لوامع الأنوار الإلهية البهية وسواطع الأسرار الأثرية . شرح الدرة المضية في عقد الفرقة الناجية ، ص ٧٣ . ص ٢٢ . نقلاً عن مسائل في علم التوحيد لوهبي غاوجي ص ١٥ .

وبعد : فهذه أهم دعاوى صاحب دراسة (منهج الأشاعرة في العقيدة) عرضتها وناقشتها مناقشة علمية هادئة ، في ضوء التاريخ والواقع ، وقد تمخض البحث عن عدة نتائج ، أجملها فيما يلي :

الخاتمة

بان واتضح مما عرضناه :

١- أن صاحب دراسة (منهج الأشاعرة في العقيدة) ادعى أن الأئمة الأربعة (أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد) قد نهوا عن علم الكلام وبدعوا أصحابه .

وعليه : فيكون الأشعرية من أهل البدعة ، وليسوا من أهل السنة ، لكونهم أصحاب كلام .

وقد بينت أن الأئمة الأربعة – رضي الله عنهم – قد نهوا عن الكلام الباطل ، المخالف عند اعتباره لصريح الكتاب والسنة .

وقد بدعوا متكلمي زمانهم الذين اتبعوا أهواءهم و اعتمدوا علي مجرد عقولهم ، ثم أولوا نصوص القرآن .. وردوا نصوص السنة !!

أما متكلموا السنة ، المدافعون عنها بالعقل : فعملهم محمود وسعيهم مشكور ...

وقد كان أبوحنيفة وأصحابه ، وابن هرمز شيخ مالك ، و الشافعي وكثير من أصحابه : يحسنون هذا النوع من الكلام . فلله درهم .

والقرآن الكريم قد جادل الكافرين والمنافقين ، والصحابة – رضي الله عنهم – كانوا يحاجون المنكرين ، ويجادلون الخارجين !!

٢- وأنه تحدث عن موقف الحنفية من الأشعرية ، فما وجد شيئاً يقوله ، إلا أن أباحنيفة كفّر من أنكر كون الله على العرش ، والأشعرية كذلك .وأن أبا يوسف كفر بشراً المريسي ، والأشعرية قد استمدوا أصولهم منه !!